ورشة عمل معوقات النهوض بالأمة

معوقات النهوض بالأمة

مجموعة من الباحثين

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لـ:

الطبعة الأولى: ٢٠١٦م

الأبحاث والأراء المنشورة لا تعبر بالضرورة
عن رأي المركز وإنما عن رأي كُتابها

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم.

مضى خمس سنوات منذ انطلاق شرارة ما اصطلح على تسميته بـ «ثورات الربيع العربي»، والتي بدأت في تونس ثم مصر ثم اليمن ثم ليبيا ثم سوريا، واستبشر الناس خيرا بتلك الثورات حيث أنها قد جاءت سلمية في بداية المطاف.

وقد سلم الحكام الذين تمت الثورة عليهم الحكم طواعية ودون إزهاق الكثير من الدماء، لكن تلك الثورات قد تحولت إلى شتاء قارس، ونماذج للفشل لأسباب كثيرة أهمها:

١- عدم وجود قيادات بارزة لتلك الثورات.

٢- دخول عناصر كثيرة بهدف قطف ثمار تلك الثورات وتحويل مسارها.

٣- تدخل أطراف خارجية لتحويل مسارات الثورات العربية، والظفر بمكتسباتها والقفز عليها. والأهم من ذلك كله هو أن الدعاة إلى الله -سبحانه وتعالى- لم يكونوا على استعداد لقطف

تلك الثمرة والتعامل معها كما يجب؛ مما أربك الصفوف وسبب البلبلة.

ولذلك فإن مركز ابن خلدون -كعادته- يبحث عن المستجدات في الواقع الإسلامي، ويقدم المفيد منها، وقد قمنا بفضل الله -تعالى- بتنظيم حلقة نقاشية سابقة بالتنسيق مع مركز بيت المقدس حول قطاع غزة، وما حدث به ومواقف الدول منه، وكانت حلقة ناجحة بفضل الله ووزعنا منها العشرات من الأقراص المدمجة والأوراق، وغُطيت كذلك من عدة مراكز إعلامية.

وهذه هي الحلقة النقاشية الثانية وهي بعنوان: «معوقات النهوض بالأمة في ظل مستجدات الربيع العربي».

وحاولنا بقدر الإمكان أن ننتقي أفضل المشايخ وطلبة العلم للحديث حول هذا الموضوع، لأنه حديث الساعة ولابد لأي دعوةٍ إسلامية أن يكون لها علم واسع حول ما يجري الآن مما يسمى بالربيع العربي؛ ما الذي تسبب به؟ ماهي إرهاصاته؟ ما هي الدول الفاعلة فيه؟ لكي لا نسير على عمى ونتخبط في قراراتنا في التعامل مع ما يسمى بـ: «الربيع العربي».

وهذه الندوة تم تقسيمها إلى قسمين: القسم الأول: يتعلق بالأطراف الفاعلة في هذا الربيع العربي؛ لأنه لا يمكن أن تتكلم عن شيء إلا إذا عرفت ما الذي يقوم عليه، ومن هو المؤثر فيه؛ ولذلك وقع اختيارنا على الحركات والتيارات البارزة التي تؤثر في الربيع العربي.

وبمشيئة الله سيكون هناك حلقة نقاشية ثانية مكملة حول ما هي مقومات النهوض بالأمة العربية من خلال الربيع العربي.

رئيس المركز

د. وائل محمد الحساوي

المحور الأول

أولاً: نشأة فكر التكفير وتطوره التاريخي وأهم الأفكار المرتبطة به

الشيخ الدكتور/ محمد الحمود النجدي

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد.

فمن أوائل المسائل التي حدث فيها اختلاف في الأمة مسائل الإيمان والكفر أو ما يسمى عند بعض العلماء مسائل الأسماء، من هو المؤمن ومن هو الكافر؟ ومن هو المسلم ومن هو المنافق؟

وهذا الأمر كان في عهد الصحابة، بل من أوائل من اتهم بالخروج عن نهج النبوة والصحابة ذلك الرجل الذي جاء إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقال له: يا محمد اتق الله، فعنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ - رضى الله عنه - وَهُوَ بِالْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ وَعُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ وَعَلْقَمَةُ بْنُ عُلاَثَةَ الْعَامِرِيُّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِلاَبٍ وَزَيْدُ الْخَيْرِ الطَّائِيُّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ - قَالَ -: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ فَقَالُوا: أَتُعْطِي صَنَادِيدَ نَجْدٍ وَتَدَعُنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لأَتَأَلَّفَهُمْ» فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُّ اللِّحْيَةِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ نَاتِئُ الْجَبِينِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ ؛ - قَالَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم: «فَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِنْ عَصَيْتُهُ أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَلاَ تَأْمَنُونِي» قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فِي قَتْلِهِ - يُرَوْنَ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ». متفق عليه

هذا الرجل قيل إنه أول من يمثل فكر التكفير والخروج على الأئمة والولاة، وهذا ما اختاره جمع من أهل العلم منهم الإمام ابن الجوزي وابن حزم والشهرستاني وغيرهم، يرون أن فكر التكفير بدأ من مقولة هذا الرجل واعتراضه على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقبيح القول، وهناك من أهل العلم من يرى أن فكر التكفير بدأ في أواخر عهد عثمان -رضي الله عنه-، وفي عهد علي -رضي الله عنه- أخذ منحى آخر بصورة أكبر وأوسع.

والحقيقة أن الخوارج ليسوا وحدهم أهل التكفير -كما سيأتي- لأن هناك فرقًا أخرى قد يغفل عنها بعض الناس وهي أيضًا من فرق التكفير، ممن يرى كفر المسلمين، بل ممن يرى كفر أفاضل المسلمين من سادات المؤمنين وهم صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ونعني بهم الرافضة الذين كفَّروا أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم من العشرة المبشرين بالجنة وبقية الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين.

من هم الخوارج؟

يقول الحافظ ابن حجر في تعريف الخوارج: إن الخوارج جمع: خارجة، وهي الطائفة، قال: وهم قوم مبتدعون سُموا بذلك لِخُروجِهم عن الدين وخروجِهم على خيار المسلمين.

وهم كما قلنا شاركوا في الثورة على الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه وأرضاه- حتى انتهت الثورة بمقتلِ الخليفةِ الراشد في بيته وهو يقرأ كتاب الله -سبحانه وتعالى-.

وبعد ذلك خرجوا أيضًا على عَلِيّ لمّا قَبِل التحكيم مع معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه-، فَكَفَّروه وخرجوا عليه ونزلوا بمكان يقال له: النَّهرَوانْ، أو نزلوا بِحَرُوَراء ثم انتقلوا إلى النَّهرَوانِ وكانوا اثنا عشر ألف رجل، فبعث إليهم علي -رضي الله عنه- تُرجُمَان القرآن ابن عباس فناظرهم فرجع منهم ثمانية آلاف وبقي منهم أربعة آلاف مصرين على قولهم، ولما حصل منهم سفك الدم الحرام وذلك أنهم مر بهم عبد الله بن خباب -رضي الله عنه-[١] ومعه جاريته وهي حامل منه، عند ذلك اعترضوه، وكان واليًا لعلي -رضي الله عنه-، فَقَتَلوه وقتلوا جاريته وبَقَروا[٢] بطنها -رحم الله الجميع-.

فعندما استحلوا الدم الحرام عند ذلك استعان الخليفة الراشد علي -رضي الله عنه- على قِتَالِهم وقاتلهم ورأى فيهم العلامة

(١) عبدالله بن خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمه بن كعب بن سعد اختلف في نسبه، فقيل خزاعي، وقيل: تميمي «أسد الغابة»
(٢) يقال بقر بطنه أي شَقَّهُ

التي ذكرها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو الرجل المخدج الذي ذكره النبي -عليه الصلاة والسلام-.

ملخص منهج الخوارج أو عقائد الخوارج وغُلُوهم في التكفير:

أولاً: يعتقد الخوارج أنفسهم أهل الحق وأهل العدل، وما سواهم هم المرتدون، المنافقون، الذين فارقوا الإسلام وفارقوا الدين.

من منهج الخوارج، وهذا سبب من أسباب ضلالهم، اعتمادهم على القرآن دون السنة، وذلك لأن السنة نقلها أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهم يُعَادُون أكثر الصحابة، وأَنِفوا وكَرِهوا أن يَطْلبوا العلم من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولذلك فَهِموا القرآن حسب أهوائهم وحسب مرادهم، ولهذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام- عنهم في هذه الخصلة بالذات: «يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم»، بمعنى أنهم يَقْرَءُونَ القرآن وليس لهم من الفهم شيء، مجرد التلاوة، مجرد القراءة دون فهم ولا وعي ولا إحاطة بمراد الله -تبارك وتعالى- من الآية.

أيضًا أن الخوارج حَكَمُوا على كثير من الصحابة بالكفرِ والمروقِ من الدين، لأعمال صدرت عنهم، كَفَّروهم لبعض الأعمال التي اجتهد فيها الصحابة وصدرت عن معاوية أو صدرت عن علي أو صدرت عن عمرو بن العاص -رضي الله عن الجميع-، ولهذا فقد اجتمعوا على تكفير علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، هذا

قول الخوارج كافة، كلهم يُكَفّرون عليًا.

وأما عثمان فاخْتَلفوا فيه، فطائفة كَفَّرته، وطائفة تحايلت على تكفيره فقالوا: هو كافر كفر نِعْمة، وهذا القول ينسب للإباضية.

من ذلك أيضا أن الخوارج مُجْمِعُونَ على أن أصحاب الكبائر كفَّار مُخلدون في النارِ.

ومن صفاتهم أيضا: أنهم يُكَّفرونَ من يُخالفهم في الرأيِ، ومن يُخالفهم في المعتقدِ، ومن يُخالفهم في السلوكِ والمنهاج، بل يزيدون على تكفيره أنهم يستحلون دمه.

أسباب الغلو الذي وقع فيه الخوارج:

أولاً: الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية، فَهُم كما وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- «... يأتي في آخر الزمان قوم حُدَثَاءُ الأسنان سفهاء الأحلام...»[٣]، بمعنى أنهم جُهَّال وأنهم صغار السن أيضا.

ثانيًا: من أسباب ضلالهم اتباعهم المتشابه من كتاب الله -تعالى-، فإنهم يأتون إلى قول الله -تعالى-: ﴿.... ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾[٤]، فيقولون هذه الآية تُكَفّرِ بالمعصية، وهذا لا شك أنه أخذ للمتشابه من كتاب الله دون رد إلى المحكم.

(٣) أخرجه البخاري
(٤) الجن: «٢٣»

ثالثًا: من أسباب ضلالهم أيضًا القول بإلزام الخصم بلازم القول، فعلي -رضي الله عنه- لما محى عن نفسه أمير المؤمنين، قالوا: إذا محى عن نفسه أنه أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين لا محالة، فحكموا عليه بالكفر بلازم قوله.

رابعًا: أيضا من أسباب الخلل في التفكير عندهم عدم فهم مسألة الولاء والبراء، فيجعلون بعض الأعمال داخلة في تولي الكافرين وهي أعمال فعلها النبي -صلى الله عليه وسلم-، فمثلا مجرد الصلح مع الكفار يرونه من أسباب الخروج من الملة، مع أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- صالح اليهود في المدينة، وصالح قريشًا على ثمان سنين كما هو معلوم في صلح الحديبية.

الخوارج بجهلهم وسفاهاتهم المتكررة سفكوا الكثير من دماء المسلمين الأبرياء، وأثاروا الفتن على مر العصور في زمن الصحابة -رضي الله عنهم-، وفي زمن الدولة الأموية عانت منهم كثيراً، وفي زمن الدولة العباسية. وهم كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «كلما خرج قرن قطع»[٥]، الخوارج مثل القرن الذي ينبت للدابة، فالقرن أول ما ينبت ينبت شيئًا يسيرًا ثم يكبر يكبر يكبر، فهم كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- قرن كلما نبت استؤصل.

ومن الفرق أيضًا التي وقعت في التكفير، المعتزلة، فالمعتزلة وقعت في التكفير في الخلاف المشهور عندهم في فاعل الكبيرة،

(٥) (الزوائد): (٢٦/١)، وحسنه الألباني

حيث قالوا: إن مرتكب الكبيرة ليس بكافر خارج من الملة وليس بمؤمن، وإنما هو فعل فعلاً كفريًا في زعمهم فهو ليس بمؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين.

كما خالف المرجئة أيضًا السلف في فاعل الكبيرة، حيث غلوا في إثبات الإيمان وكمال الإسلام لكل من شهد أن لا إله إلا الله ولو أتى من الأعمال المنكرة ما أتى، ولو أتى من المنكرات ومن الكفريات ما أتى، فإنهم يثبتون له تمام الإيمان وكمال الإيمان.

وهذا كله حصل بسبب الفتن التي حلَّت بالمسلمين بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وما حصل فيها من سفك للدماء واستحلال للأموال والأعراض.

وفي عصرنا الحاضر أيضًا هناك شخصيات بذرت بذور التكفير، مثل الشيخ أبي الأعلى المودودي المولود بحيدر أباد الدكن في الهند، ولو أردنا أن نطل على شيء مما كتب كما في كتابه المصطلحات الأربعة التي هي الإله، والرب، والعبادة، والدين، نجد أن هذا الكتاب أكثر ما يتكرر فيه هي المصطلحات السياسية: مصطلح السلطة، مصطلح الحاكمية، مصطلح السياسة، القانون، ومصطلح النظام، وهذه الألفاظ تكلم فيها المؤلف عن أهم قضايا الاعتقاد وهي: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

ونجد أن هذا الكتاب مليء بهذه الألفاظ وتوابعها، والذي بنى فيه أبو الأعلى تصورًا عن النظام الإسلامي من خلال الأحداث التي يمر بها.

هذا المنهج المبتدع في الاستدلال وفي التدليل كان هو الفكر الذي بنى عليه أيضًا سيد قطب فكره ودعوته من خلال كتبه، وسيد قطب نشأ في مصر على كتب الأدب، والأدب الغربي خاصة، ولما اتجه إلى الإسلام لم يكن مؤصلا في دراسة العقيدة ومصادر التلقي فتلقف مثل هذه الأفكار.

ونختم بهذا ولا نطيل، أن سيد قطب قد فسر شهادة أن لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد ومعناها لا معبود بحق إلا الله -عز وجل-، أنه فسر هذه الكلمة فجعلها: لا حاكم إلا الله، أو لا حاكمية إلا لله، أو لا شريعة إلا من الله، ولا سلطان لأحد على أحد لأن السلطان كله لله.

ثانياً: نماذج معاصرة من التكفير وكيفية مواجهة هذا الفكر

الدكتور: فرحان عبيد الشمري

عندما جئت أكتب عن الخوارج المعاصرين ما أكاد أجد فرقًا كبيرًا بين السابقين واللاحقين إلا في مواضع يسيرة مثل: قلة التدين والتساهل في العبادات.

هذه الفرق على اختلاف مسمياتها وأشكالها تنسب نفسها إلى السلفية، لأنهم يعلمون أنه ما من فرقة تبتعد عن منهج السلف أو عن التسمي بالسلفية إلا وينبذها عامة الناس بحمد الله -تبارك وتعالى-

وأؤكد أنه قد يتحرج بعض من ينتسب إلى بعض الجماعات، أن يسمي جماعته، وأن يعلن عن انتمائه لها، إلا السلفي، بفضل الله يعلن عن انتمائه لهذا المنهج المبارك بكل فخر واعتزاز، وهذا مصداقًا لكلمة شيخنا الشيخ عبد الله السبت -رحمه الله- لما قال كن سلفيًا ولا تخجل.

لذلك تجد أن أغلب هذه الجماعات تنسب نفسها إلى السلفية، فتجد مسميات عدة مثل: السلفية الجهادية، أو السلفية العلمية، والإخوان كذلك من مبادئهم أنهم دعوة سلفية، لكنهم يفعلون ذلك

في الغالب من أجل أن يقبل الناس عليهم.

ونتعرض هنا لبعض من سماتهم وأوصافهم حتى نتعرف عليهم وعلى نهجهم، ومن هذه الأوصاف:

- أنك تجد مسمياتهم دائماً مشبوهة ومجهولة، أبو محمد المقدسي، أبو قتادة الفلسطيني، أبو بصير الطرسوسي، أبو حمزة الغامدي، أبو كذا أبو كذا، ما تعرفهم من أين ظهر هذا؟ من أين جاء؟ ما تعرف لهم أصلاً.

لكن علماء السلف مَعْلومون مشهورون للقاصي والداني فحينما نذكر الشيخ عبد العزيز بن باز، نجد أنه من ولادته إلى وفاته معروف، الشيخ محمد صالح العثيمين، من ولادته إلى نشأته إلى طلب العلم إلى مشايخه إلى تلاميذه معروف.

الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الشيخ عبد المحسن العبّاد، الشيخ صالح الفوزان، كل أولئك معروفون من حيث النشأة والميلاد والوفاة وطلبهم للعلم ومشايخهم وتلاميذهم وكتبهم، كلها معروفة، أما هؤلاء أغمار مطموسون، غير معروفين ومجهولون في الحقيقة.

- كذلك من صفاتهم أنهم لا يبرزون إلا في الفتن، في الأمور التي يكون فيها النقاشات لكن حينما تكون السنة ظاهرة والأمور مستتبة ما يظهرون.
- كذلك من منهجهم الطعن في العلماء، وهذا منهج قديم وجديد، ومن يريد أن يعرف طعنهم فلينظر إلى سيرة عمرو بن عبيد

المعتزلي الذي تكلم عن الصحابة وعن التابعين وعن علماء الأمة.

- كذلك يتخذون رؤوساً جهالاً، أي إنسان في أي منطقة رأوه يتكلم، ورأوه يدافع عن منهج الخوارج يبرزونه، ويرفعون من شأنه لمجرد أنه يدافع عن منهجهم.
- كذلك من صفاتهم انقطاع الصلة بالسلف، لأنهم كما قال الشيخ خاصموا الصحابة، أجدادهم وآباؤهم من الخوارج خاصموا الصحابة فكيف يرجعون لهم وإلى تفسيرهم للنصوص.
- كما أنهم يجتزئون النصوص، ويستقلون بالفهم، ويكفرون الحكام والمجتمعات، كما كفروا عليًا من قبل.

ونحن حينما نذكر أن فلان خارجي، وفلان خارجي، ليس هذا بدعًا من القول، لأنه كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «كلما خرج قرن قُطع»، فبالتالي هذا الفكر متجدد، وأنا اقول أن ذكر الوصف أضبط من أن نقول: فلان خارجي، نعم هذه من باب التحذير لكن من حيث التحذير بالوصف هذا أضبط إن شاء الله.

كيفية مواجهة فكر الخوارج؟

آليات مواجهة هذا الفكر كثيرة جدًا بحمد الله -تبارك وتعالى- لكن أذكر خمسة أمور منها:

أولاً: تعريف الناس بالمرجعية الشرعية، مرجعية السلف الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وإلصاق الشباب وإرجاعهم إلى العلماء

المعتبرين كالشيخ الألباني وابن باز -رحمة الله عليه- وابن عثيمين -رحمة الله عليه-، والشيخ صالح الفوزان وهيئة كبار العلماء والشيخ عبد المحسن العباد وغيرهم كثير بحمد الله -تبارك وتعالى-، فإرجاع الشباب وتعريفهم بالمرجعية يكون فيه إبعاد الشباب عن هذا المنهج التكفيري.

ثانيًا: تربية الناس على المنهج السلفي، وهو التصفية والتربية، جمعنا الناس ثم ما ثقفناهم ولا علمناهم ولا غيرنا من تفكيرهم، إذن ما صارت هناك تصفية وبقي الغبش والدخن فيهم لكثرة هذه الأشياء.

ثالثًا: تبصير الشباب بالمسائل التي يخوض بها التكفيريون، فلابد علينا من أن نجلي مثل هذه المسائل لهم، ومن هذه المسائل: الولاء والبراء، نواقض الإسلام، حقيقة الإيمان وحقيقة الكفر، الحكم بغير ما أنزل الله، ضوابط التكفير، وغيرها من المسائل التي لابد أن تكون جلية واضحة.

وقد أحسنت جمعية التراث الإسلامي -بفضل الله- بعد أن جعلت المكتبة الثامنة من مكتبات طالب العلم في التعريف بهذا الفكر التكفيري والتفجيري.

رابعًا: تصدي العلماء لكشف شبهات التكفيريين، والإجابة على مسائل الشباب وفتح باب الحوار وعدم ردهم.

اليوم اختلف الناس، الكل كما يقولون: عقله في راسه، وأصبح مرجعيته الانترنت، وشيخه الفيس بوك، حتى عوام الناس اليوم

يتصل يا شيخ عندي مسألة كذا وكذا مسألة طلاق، وكذا وكذا وأنا رأيت في النت ووجدت أقوال ووجدت كذا، يعني هو يبحث بنفسه وهو غير مؤهل أن ينظر في الأدلة، فبالتالي هذا إذا كان عاميًا فكيف إذا كان يرى نفسه أنه وصي على هذه الأمة، وصي على العلماء، وصي على الحكام، وهو صغير لم يفقه من الدين شيئا. ومع ذلك اعتبر نفسه وصيًا عليهم، لا بد أن يوجد حكم لهذه المسائل فإذا ما كان عنده وضوح في هذه المسائل التي مرت فإنه يقع في شبهات القوم.

خامسًا: إيجاد مراجع وقنوات ينهل منها الشباب ويتزودون منها، مثلا موقع للتصدي للفكر التكفيري، وأظن هناك مواقع بحمد الله -تبارك وتعالى- لكن غير مشتهرة وغير معروفة عند كثير من الناس، هنا نقول إيجاد قنوات لأجل هذا الشيء بالذات.

وذكرنا أن المكتبة الثامنة من مكتبات طالب العلم في جمعية إحياء التراث كانت للتعريف بهذا الفكر التفكيري التفجيري، وكان لهذه المكتبة صدى واسع في أوروبا بحمد الله فقد سمعت الثناء عليها في أسبانيا وهولندا.

أيضا في الأخير: التعاون مع الأجهزة الحكومية أو مؤسسات الحكومة في معالجة أوضاع الشباب الذين وقعوا أو سيقعون في مستنقع التكفير والانحراف في هذه المسألة.

المحور الثاني

التمدد الصفوي في العصر الحديث، وظهور النزعة الاِسْتِعْمارية في كل من العراق ولبنان واليمن وتداعيات فكر تصدير الثورة

الأستاذ/ صباح الموسوي
الخبير بالشئون الإيرانية

الحديث عن التدخل الإيراني كان إلى حد قريب يعد جريمة عند بعض دعاة المقاومة ودعاة الوحدة العربية ودعاة أعداء أمريكا، حتى منّ الله علينا بالثورة السورية، وكشفت بعض جوانب الكذبة الإيرانية المناصرة للحقوق العربية والمناصرة للحق الإسلامي في فلسطين وفي القدس وإلى آخر هذه الشعارات التي كانت إيران تحاول أن توهم الناس فيها، حتى جعلتها مادة تخديرية تستطيع من خلالها تخدير مشاعر المسلمين وأذهانهم، ليسهل لها شق الطريق للتغلغل في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

ولكن أقول مع هذا ورغم انكشاف هذه الكذبة الإيرانية ما يزال هناك من يرفض الحديث عن خطر التدخل الإيراني، بل إنه ينفي وجود خطر أو شيء اسمه: تدخل إيراني رغم أن الإيرانيين بأعلى مستوياتهم يصرحون جهاراً نهاراً أن لهم نفوذ وسيطرة بل أكثر من ذلك فإنهم يؤكدون وجود جيوش لهم وقوة متغلغلة ونافذة في الدول والبلدان العربية والإسلامية، وما زال الذين كانوا يدافعون عن النظام الإيراني - من أبناء جلدتنا مع الأسف- يصرون على أن يبقوا حصان طروادة بالنسبة لإيران، ولذلك فإن من يرفضون وجود تدخل إيراني لا نريد أن نجادلهم بأكثر مما هو موجود من تصريحات لدى المسؤولين الإيرانيين.

أقرب تصريح قبل يومين من هذه الندوة لمستشار المرشد الإيراني الأعلى على خامنئي، وهو الدكتور/ علي أكبر ولايتي، وزير الخارجية الأسبق، وأمين عام ما سمي بمؤتمر «دعم انتفاضة الربيع العربي» في إيران من ٢٠١١، (وقبل انطلاق الثورة السورية

بمجرد أن انطلقت الثورة المصرية والتونسية قاموا بعمل مؤتمر دائم يعقد سنويا باسم: مؤتمر دعم انتفاضة الربيع العربي، وعدوا أن هذا الربيع العربي نتاج تأثر الشعوب العربية بالثورة الإيرانية وأن هذه الثورات هي امتداد للثورة الإيرانية لكن عندما انطلقت الثورة السورية بدأوا يتراجعون قليلاً).

ولايتي قبل يقول: «إن النفوذ الإيراني يمتد من اليمن إلى لبنان»، ونحن الآن إذا أردنا أن نعد الدول التي تقع تحت هذا النفوذ المزعوم نجد أنها عشر دول: اليمن، دول الخليج العربي، العراق، الشام (الأردن وسوريا ولبنان)، وهذا النفوذ لو أردنا أن نناقشه علينا أن نتساءل: كيف تم، وما هي آلياته؟ كيف تمكنت إيران، وعبر أي آلية تم تحقيق هذا النفوذ؟، وهل هذا النفوذ تم بطلب من الشعوب العربية، أو شعوب هذه البلدان، هم الذين طلبوا من إيران أن تتدخل؟ هل إيران دخلت بطلب من الأنظمة الرسمية؟ كيف تم هذا الأمر؟ هل كانت هناك أيدي داخل هذه البلدان سهلت لإيران الدخول؟ من هذه الأيدي؟ هل كلها شيعية أم أن هناك أيدي غير شيعية أيضا تعاملت مع إيران وسهلت لها الأمر؟.

نحن نعرف أن النفوذ أو التدخل يتم عبر طريقين: طريقة ناعمة وطريقة خشنة، وهي الطريقة العسكرية. فإيران دخلت هذه الدول طبعا في البداية دخولاً ناعماً عبر علاقات ثقافية، عبر علاقات اقتصادية، سياحية، عبر تجار مخدرات وتجار أسلحة، ولكن متى أصبحت إيران أو أصبح تدخلها تدخلا خشنا؟ عندما

بدأ هذا المشروع وهذا التدخل ينكشف ويتقهقر قبل انتفاضة السنة في العراق بثلاثة أشهر، وقبلها بشهر أو أسابيع خرج: رحيم صفوي، القائد السابق للحرس الثوري الإيراني والمستشار العسكري الحالي للمرشد الإيراني علي خامنئي، قائلا عبارة تشبه عبارة ولايتي لكنه أضاف: «هذه هي المرة الثالثة في التاريخ التي تصل حدود إيران إلى البحر الأبيض المتوسط». يعني في مرتين سابقتين، مرة في زمن الإخمينيين في زمن كورش، وفي زمن الساسانيين، والآن هذه المرحلة مرحلة الخمينيين.

هذا التدخل، وهذا النفوذ كما قلنا كانت له أيادي ساعدته من داخلنا، من داخل مجتمعاتنا، وهذه الأيادي هي التي ما تزال اليوم كلما خرج نائب إسلامي، أو خطيب جمعة، أو صحفي واجهوه بسهامهم المعروفة متهمين إياه بأنه: طائفي أو يثير الطائفية في المجتمع، وهذه الآن حجة عند العلماني والليبرالي والصفوي حيث أنه كلما أراد أحد أن يتناول التدخل الإيراني يواجهونه بهذه السهام الطائفية، حيث أصبحت كلمة أنت طائفي التهمة جاهزة لهؤلاء.

وكما أشرنا إليه سابقا إن هؤلاء أيضا لا أحد يواجههم ولا أحد يدفعهم. مما جعل الأمر مع الأسف أن الذي يقف في وجه التمدد الإيراني هو المتهم، وليس من يساند إيران، وهناك صور وآليات ناعمة من التدخل الإيراني التي تأتي عبر الحسينيات، والمراكز الثقافية الإيرانية، حيث إنه في دولة مثل السودان كان فيها ٢٥ مدرسة ومركزا ثقافيا و٣ جامعات ومعاهد، وإذا تساءلنا

كم هي الجالية الإيرانية الموجودة في السودان التي تحتاج إلى هذه الكمية من المدارس؟ لا نجد إلا عددا قليلا لا يساوي حجم هذه المدارس والمراكز، إذن هذه المدارس وهذه المعاهد لها وظيفة أخرى!.

ومن هذه الإجراءات يتضح لنا أن المشروع الإيراني مشروع كبير يحتاج إلى هذه المؤسسات!، ونحن أيضا وقعنا في خطأ عندما ركزنا على نقطة أن المشروع الإيراني مشروع قومي، وصرنا نقول المشروع القومي الفارسي المشروع الشعوبي الإيراني، أنا أتفق أن في نفوسهم شعوبية وقومية عنصرية لكن الذي يجب أن نؤكد فيه أن مشروعهم مشروع ديني، مشروع اسمه: تصدير الثورة الإسلامية المبنية على العقيدة الصفوية.

الصفوية والشيعية وجهان، وأنا مسؤول عن كلامي ولا يتحمل المنتدى أو الندوة مسؤولية هذا الكلام، وأقول هناك شيء اسمه: الدين الشيعي وليس المذهب الشيعي، وإيران تريد أن تصدر الدين الشيعي، وتعمل على تصدير الدين الشيعي، فلو كان مشروع إيران قوميا لما تأثر الشيعي العربي به، ولا تأثر السني العربي به؛ ولذلك فإن إيران جعلت واجهة مشروعها هو الدين الشيعي، وهي دولة شيعية، ومنذ تأسيسها هي دولة شيعية يعني دولة دينية، في عهد إسماعيل الصفوي عندما جاء وأقام دولته وأخرج إيران من ضمن الدولة الإسلامية ومن الخلافة الإسلامية آنذاك بنى إيران على أساس ديني طائفي، وظل المشروع الديني الطائفي قائماً من زمن إسماعيل الصفوي مروراً بالأفشاريين والغاجاريين والبهلوي

إلى زمن الخميني، وكلهم عملوا على ذلك.

في زمن رضا بهلوي الذي كان علمانياً في ظاهره كان أول من بعث وفدا إلى فتح مكتب في مصر لنشر العقيدة والفكر الشيعي، وآخر موظف في هذا المكتب كان سيد طالب الرفاعي الذي صلى على الشاه عندما مات في مصر، وكان له أكبر مكتبة في القاهرة، مكتبة الرفاعي، وكانت مخصصة بتوزيع الكتب الشيعية فقط.

اليوم يحدث الأمر نفسه بعد مجيء الخميني أصبحت المراكز الثقافية هي المكتبة، توزع الكتب بالمجان، كل أنواع الكتب، وتدرس اللغة الفارسية، وتعمل دورات ورحلات للمشايخ وللمثقفين وللصحفيين بشكل دوري في كل بلد.

والمؤسسة الثانية التي تعمل على نشر الفكر الصفوي هي: الحوزات، وتوجد في الشام وفي دمشق، وفي لبنان، وفي اليمن، وحتى في الأردن حيث فتحوا حوزات لتدريس الفقه والعقيدة الشيعية في كل هذه البلدان العربية، وقد صارت هذه الحوزات تستقطب طلاب وترسلهم للدراسة.

في الصومال مثلا؛ لأن الوضع لا يسمح بفتح مراكز ثقافية، صاروا يفتحون مخيمات باسم الهلال الأحمر وجمعية إمداد الخميني، جمعية خيرية باسم الخميني تنشئ أفضل المخيمات، ولا تقدم مساعدات لمن لا يأتي للمخيمات، فصارت بالزركشة التي عملوها للمخيمات والأضواء والطبخ ترون بالحسينيات كيف يطبخون على الشارع، نفس الطريقة في المخيمات هذه في

الصومال يعملون بهذه الطريقة حتى يكسبوا الناس والفقراء، حيث إنه في كل دولة لهم أسلوبهم في كسب الناس ولهم أداة ولهم وسيلة في ذلك.

غير الحوزات، هناك المدارس الإيرانية، والمدارس الإيرانية أيضا جزء مهم في الاستقطاب ونشر الثقافة وتجنيد الآخرين لصالح النظام الإيراني، وهناك بعد ذلك شيء اسمه ممثليات المرشد، وهناك سفارات وهناك مركز ثقافي وهناك حوزة وهناك مدرسة، بعد ذلك ممثلية المرشد، هذه تقريبا أربع أو خمس مؤسسات يرأسها السفير الإيراني في كل بلد، كما أن هناك لجنة تقوم على إجراء تنسيق بين هذه المؤسسات، هذه اللجنة يرأسها السفير، وفيها ضابط المخابرات الذي هو ضابط ارتباط، وفيها رؤساء هذه المؤسسات التي تعمل على تنفيذ هذه الخطة.

هذه المؤسسات بعضها تابع للاستخبارات، وبعضها للحوزة ولمكتب خامنئي مباشرة، وبعضها الآخر تابع لمؤسسة التبليغ الديني وهي ما يسمونها التبليغ الإسلامي عندهم، وكل هذه تعمل بتنسيق وضمن خطة ممنهجة وتبدأ التواصل مع كل فئات المجتمع وتبدأ بالصحفيين ثم أئمة المساجد ثم العسكريين ثم الدبلوماسيين، وهكذا تدريجيا تصعد لكسب الود، وتتواصل مع الأحزاب، وتركز على الأحزاب العلمانية قبل أن تركز على الأحزاب الإسلامية أو الدينية في البلد الذي تعمل فيه، حتى إذا كسبت العلمانيين والأحزاب، فالعلمانيين تسكتهم عن اتصالاتها بالأحزاب الإسلامية، ترشيهم، ترشي الأحزاب العلمانية لكي

يسكتوا ويغضوا النظر عن اتصال إيران بالأحزاب أو الحركات الإسلامية، والعكس صحيح.

طبعا أنا أضع إسلامية بين قوسين لأنه لا يمكن أن تكون إسلاميا وأنت ليلا ونهارا تصريحاتك مدح وشكر لإيران، وأنه «لولا إيران لما انتصرنا، لولا إيران لما حققنا، لولا إيران لما فعلنا» من هكذا حاله نجعل إسلاميته بين قوسين لأننا هنا فقدنا مسألة الولاء والبراء.

إيران اليوم وصلت إلى مرحلة أن تعلن أنها لا يمكنها التخلي عن دمشق؛ لأنها لو تخلت عن دمشق ستسقط طهران، وأنها مستعدة أن تتنازل عن الأحواز ولا تتنازل عن دمشق، وأن دمشق وبغداد هما من الجبهات الأمامية لحماية طهران، ونحن أمام مشروع إيراني حاول أن يبتلعنا لكننا نستطيع أن نؤكد أنه وصل الآن في حالة تراجع، حيث إن هذا المشروع حظي بمساندة أمريكية ومساندة من طابور خامس في صفوف مجتمعاتنا، وإذا لم نتدارك الأمر ونستمر في المواجهة الثقافية، والإعلامية، والدعوية، والسياسية قد يستعيد هذا المشروع الإيراني أنفاسه ويبدأ ويستمر كما بدأ.

ويؤكد تراجع هذا المشروع ما صرح به النائب الأول للرئيس الإيراني إسحاق جهانجيري، الذي تحدث عن مضاعفات انخفاض أسعار النفط وأضرارها في إيران، واتهم دول المنطقة بأنها تحيك مؤامرة لإيران، حيث قال: كنا نصدر -يعني قبل عامين- مليونين ونصف برميل بقيمة البرميل مائة دولار، اليوم أصبحنا نصدر

مليوناً واحداً بقيمة سبعين دولار.

يعني يتعرضون لخسارة بلغت مليون ونصف من حجم التصدير، وخسارة ثلاثين دولار في البرميل، فيشكو من أن هذا سلاح قاتل ضدهم وأنه يهدد دول المنطقة إذا استمروا بالتآمر حسب قوله في موضوع خفض الأسعار سيكون لهم رد تجاه الأمر.

لابد أن يكون لنا رداً فقد تعودنا أن إيران لن ترسل جيشاً من عندها، وإنما ستستخدم الطابور الخامس الذي عندنا، فعلينا أن ننتبه لهذا الطابور الخامس المجند إيرانيا، كما حصل في البحرين وكما حصل في العراق وفي اليمن؛ لأن إيران استغلت الطابور الخامس في هذه البلدان كلها، ونحن مهددون من قبل هذا الطابور. إذا صح أن عملية تخفيض النفط هو مخطط فنقول الحمد لله الذي فتح الله على حكوماتنا وقدرت أن تتخذ خطوة، وإن شاء الله تزيد مثل هذه الخطوات.

المحور الثالث

أساليب نشر العلمانية

للشيخ: عبدالمنعم الشحات

صُنع الظروف المولّدة للعلمانية

العلمانية نبتٌ غريب على بلاد الإسلام ما فتئ أصحابه يحاولون غرسه؛ لا يكاد يتماسك زرعه إلا كما يتماسك الزرع النابت في طبقة رقيقة من التراب على صخر أملس فتنمو شيئًا ما؛ حتى إذا فرح بها أصحابها أتتها أمطار الحجة فغسلت الزرع والتربة، وتركته صلدًا، مثلهم في ذلك كالمثل الذي ضربه الله -تعالى- في قوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. البقرة:٢٦٤

وإذا استصحبنا هذا المثل فسنجد أن جهود المستشرقين -التي أكملها من بعدهم تلاميذهم عن علم أو عن جهل- تدور حول عناصر هذا المثل ما بيّن محاولة وضع تلك الطبقة الترابية فوق الصخر الصلد، وما بين محاولة سقي هذا الزرع وتثبيته بما يتوافق مع عجزه وضعفه، وما بين منع الوابل الصيب المستمد من نور الوحي من أن يعمل أثره في إزاحة هذا النبت الهزيل؛ ومن ثَمَّ يمكن تلخيص طرقهم في عدة محاور رئيسة، تحت كل منها محاور فرعية يمكن إجمالها على النحو الآتي:

١- صنع الظروف المولّدة للعلمانية، وذلك من خلال:

- افتعال الصدام بين الدين والعقل.
- افتعال الصدام بين الدين والعلم الحديث.
- افتعال الصدام بين الدين ومتطلبات الحياة الحديثة.

٢- تكريس الواقع المنحرف لا سيما في المجالات الآتية:

- مجال الحكم بتكريس الديمقراطية الليبرالية ومنع محاولات أسلمة الديمقراطية.
- مجال الاجتماع «خصوصًا ما يتعلق بالأسرة والمرأة».
- مجال الاقتصاد «وخصوصًا فيما يتعلق بالربا والميسر».
- مجال الفنون والآداب.

٣- ترويض الظاهرة الدينية عبر الوسائل التالية:

- الزعم أن الدين علماني بطبعه.
- المطالبة بعلمنة الدين.
- تثوير الدعوة الإسلامية.

٤- ترويع المؤسسات الدينية «الرسمية والأهلية!».

وسوف نتناول هذه الأساليب، ونبدأ بالأسلوب الأخطر والأهم، وهو: «صنع الظروف المولِّدة للعلمانية»:

لقد نشأت العلمانية في ظروف معينة، وهذه الظروف هي باختصار شديد:

- المصادمة بين الدين النصراني المحرَّف وبين العلم.
- المصادمة بين الدين النصراني المحرف وبين العقل.
- الطغيان الكَنَسِي لوجود نظام الحكم المسمى بالدولة الثيوقراطية، وهي لا تعني وجود شريعة تطبق مِن خلال حاكم عادل، ومِن خلال

قضاة عادلين، ولكن الحكم الثيوقراطي عندهم يعني أن الشريعة ذاتها غير محددة بناءً على عقيدتهم مِن أن الوحي لم ينقطع، وأن رجال الدين هم الذين يقطعون في كل شيء بلا ضابط، وبدون أن يحاسبهم أحد!

وهذه الظروف لا وجود لها إطلاقًا عندما نتحدث عن الإسلام «أي أننا عندما نتحدث عن الإسلام لا يوجد أي تناقض بين الإسلام وبين العقل»؛ فلا يوجد تناقض بين نصوص الكتاب والسنة بعضها بعضاً، ولا يوجد كهنوت، ولا يوجد حاكم مطلق مِن البشر؛ وإنما الحاكم المطلق هو الله -تعالى- ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ﴾ (الأنعام:٥٧)، وحتى الرسل إنما يُبلِغون عن الله -عز وجل-؛ فطاعتهم مطلقة باعتبار البلاغ، وأما مَن دون الرسل؛ فالأمر في غاية الوضوح، ولقد أدت هذه العوامل مجتمعة إلى هزٍّ، بل نسف ثقة الرجل الغربي المتدين في إيمانه، وفي دينه؛ ومِن ثَمَّ «خلا الجو للعلمانية».

وعندما عَلَّم المستشرقون تلاميذهم هذه القضايا كانت المغالطة الكبرى أنهم «أوهموهم» أن جميع الأديان متشابهة في خصائصها؛ لا سيما في العيوب التي اضطروا إلى الاعتراف بوجودها في دينهم، ونحن معشر المسلمين نعتقد اعتقادًا راسخًا أنه كتبها الأحبار والرهبان بأيديهم، وادعوا أنها مِن عند الله! ولكن العقبة التي واجهها دعاة العلمانية في بلاد الإسلام أن كل هذه المبررات لا وجود لها في الإسلام، وأن المجتمعات الإسلامية متدينة بطبعها؛ وبالطبع يوجد الكثير مِن الانحرافات في التطبيق، ولكنها تبقى بعيدة كل البعد عن الكفر بالدين أو الشك

في الشريعة، أو اعتبار أن السعادة في مخالفتها.

وبدلاً مِن أن يُراجِع القوم أنفسهم فليست الخيارات محصورة بيْن دين يناقض العقل أو لا دين -كما توهموا!-، بل ثمة دين لا يناقض العقل ولا يعوق العلم «بل يهيئ له المناخ»؛ إلا أن القوم أصروا على غيهم! وأصروا أن يزعموا أن كل العوامل والمبررات التي أدت إلى طغيان العلمانية في الغرب موجودة في دين الإسلام، وراحوا يفتشون أو يزعمون أمثلة من هذا القبيل.

وشمل هذا الجوانب الآتية:

- افتعال الصدام بين الدين والعقل:

لعل الصدمة الرئيسة التي تلقاها الأوروبي وهو في بداية عصر النهضة العلمية أن النهضة العلمية تحاول أن تنمي عقله، وأن تنمي عنده روح البحث؛ بينما إيمانه الكنسي يطالبه بأن يحشو عقله بما يناقض العقل والمنطق، وبأمور يناقض بعضها بعضًا! ومِن ثَمَّ كان مناقضة كتب أهل الكتاب للعقل وتناقضها فيما بينها -وهذا راجع لما فيها مِن تحريف كما أسلفنا- هو السبب الرئيسي الذي زلزل إيمان هؤلاء.

ومنذ فترة مبكرة في تاريخ الإسلام أكثرَ الزنادقة مِن الطنطنة حول هذه الأمور، ولم يكن الغرض حينئذٍ هو الدعوة إلى العلمانية، ولكن كان الغرض هو فتنة المؤمنين عن دينهم، وقد تصدى لهم جهابذة العلماء، وكانت لهم معهم صولات وجولات كردود «أبي

حنيفة» -رحمه الله- على الزنادقة، وجواب «الشافعي» -رحمه الله- على شبهاتهم، وأجوبة «ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث»، و«الطحاوي في مشكل الآثار»، وغيرهم كثيرون... حتى جاء شيخ الإسلام «ابن تيمية» -رحمه الله- فجعل قضية «درء تعارض العقل والنقل» هي شغله الشاغل، وصنَّف مصنفًا كبيرًا يَحمل هذا الاسم، ولم يخلُ مصنف مِن مصنفاته من التعريج على هذه القضية بصورة أو بأخرى، ولما جاء العلمانيون إلى بلادنا، ووجدوا حصون الإسلام منيعة مِن أن تُرمى بمخالفة العقل؛ لجأوا إلى أساليب... منها:

إعادة نشر شبهات الزنادقة:

فمن طرقهم المكررة الممقوتة تِكرار شُبهات الزنادقة والمُشككين عبر التاريخ، ومِن الأشياء العجيبة أيضًا أن بعضاً منهم يأتي ببعض الشبهات ويعرضها ولسان حاله يقول: «إني أتيت بما لم تستطعه الأوائل!»، ثم تُفَاجأ أن الشبهة موجودة في كتب الأقدمين، وقد ردَّ عليها -مثلاً- «ابن قتيبة» -رحمه الله- في «تأويل مختلف الحديث» أو غيره، بل تجدها بنفس ألفاظها تقريبًا؛ وهذا يجعلنا نقطع أن هناك شخصًا ما -إن لم يكن هذا الشخص المتكلم بعينه فأستاذه أو أستاذ أستاذه- لجأ إلى هذه الكتب فقرأ الشبهة وقرأ الرد، ثم كتم الرد ونشر الشبهة، أو أعاد صياغتها على أنه من نسجها من البداية تلبيسًا وخداعًا.

تقديم المناهج الخرافية على أنها هي الفهم الصحيح للإسلام:

ومِن أعجب الأمور: أن تجد أن الدول الكبرى التي ما تفتأ تتحدث عن العقلانية والعصرانية هي التي تساند وجود التيارات الخرافية، والأمر يتعدى مجرد الدفاع عن حقهم في اعتناق ما يشاءون إلى الدعم المادي للاحتفالات والموالد التي يحدث فيها من مخالفات العقل والفطرة ما يخجل منه رموز الصوفية أَنْفُسُهم إذا طُلبوا للمناظرة!

ومِن أعجب العجب: أن يجمع الشخص الواحد بيْن تبني هذه الأفكار وبين اعتبارها دليلاً على أن دين الإسلام مثله مثل غيره لم يخلُ من الخرافة؛ فيدافع عن وجود هذه الانحرافات ثم يستثمر وجودها في إثبات التعارض بين الوحي والعقل بما يلزم منه الرجوع إلى العقل ورفض الدين، أو رفض اتخاذه مرجعًا أخلاقيًا وثقافيًا عامًا.

إثارة الجدل في الأمور التي لها أصل صحيح، لكن لحق بها الكثير مِن الخرافات:

فمِن أساليبهم في ذلك: كثرة الكلام في الموضوعات التي لها أصل صحيح في الشرع، ولكن هذا الأصل أصبح «نقطة في بحر»؛ بالنسبة لما راج بين الناس حوله، مثل موضوعات: «الجِنُّ – والسحر – والحسد»، وكلها مذكورة في «القرآن والسنة»، لكن يتم عرض الموضوع كما هو في التراث الشعبي، ثم يُستضاف

الضيوف الذين يكونون بيْن مُقر ومُنكِر؛ والصحيح هو التفصيل «لكن غالبًا لا يُستضاف مَن يمثّل أو -يفصِّل- هذا التفصيل!».

وإن تصدى الدعاة والخطباء لبيان الخطأ مِن الصواب في هذه الأبواب؛ استثمر العلمانيون هذا في إثبات أن دعاة الإسلام لا يشغل بالهم إلا «الجن والعفاريت» في الوقت الذي صعدت فيه «البلاد العلمانية» إلى القمر، وصنعت كذا... وكذا...!

افتعال الصدام بيْن الدين والعلم الحديث:

وهذا الباب قريب مِن سابقه إلا أنه يختلف عنه بكونه أكثر منه اقترابًا من فكر الرجل العادي؛ فادعاء أن الدين فيه أخبار مخالفة للعقل -كما يدعون في بعض الغيبيات!- قد لا يعني شيئًا ذا بال عند الرجل العادي، ولكن عندما يتم الادعاء بعداء الدين لعلوم الطب والفلك والهندسة؛ فإن هذا يكون أكثر إثارة للعامة أكثر مِن مجرد الادعاء بوجود التعارض بين الدين والعقل.

وقد تحمَّل المواطن الأوروبي وطأة الإيمان بدين فيه ما يناقض العقل، ولكنه ثار حينما علم أن الدين يقف عائقًا أمام نظريات علمية مِن شأنها أن تحل له الكثير مِن مصاعب حياته، وبالتالي سيظل المفكرون العلمانيون يرددون «كالببغاوات» أن وجود بعض الأحاديث التي ترشد إلى نصائح في باب التداوي «كالتداوي بالحجامة - أو بحبة البركة - أو بعسل النحل» - أن هذا يلزم منه إغلاق كليات الطب! مع أنه لم يقل بذلك أحد، ولم يشر إلى ذلك أحد لا مِن قريب ولا مِن بعيد، وغاية ما هنالك أن مَن أخذ بهذه

التوجيهات النبوية وعمِل بها مِن الأطباء؛ استطاع أن يحقق تقدمًا كبيرًا لأساليب العلاج في زمانه، وأنه «ومع تقدم العلم الحديث» ما زالت هذه الأساليب الطبية صالحة كوسائل أساسية أو ثانوية أو وقائية في كثير مِن الأمراض!

ومِن المفيد ها هنا: أن نأخذ على أيدي بعض العامة، بل وربما بعض الدعاة المشهورين بحب المبالغات التي تضر أكثر مما تنفع؛ بينما الواجب تنزيه الشريعة مِن أن تنسب إليها تجارب الأطباء -فضلاً عن غيرهم- في العلاج بـ«عسل النحل» على أنها بتفاصيلها وحي من الله! وإنما الثابت فقط هو أصل الإشارة إلى أن هذا مِن أبواب التداوي، وأما ما سوى ذلك فجهد بشري.

افتعال الصدام بيْن الدين والحياة الحديثة:

وهذا الخطاب هو المعتمد «لدى معظم الإعلاميين الدائرين في الفلك العلماني»؛ سواء شعروا أم لم يشعروا، ولكنهم يكرسون للعلمانية دون أن يوجَّه لهم الاتهام بالعلمانية أو غيرها، وهذا النمط من الإعلاميين يمارس دور «التلميذ المشاغِب» الذي يطرح أسئلة غرضها إعاقة المدرس عن الشرح، وإثبات استحالة الفروض الأولية التي سوف ينطلق منها، وهذه الأسئلة تمس «رغيف السامع، وحياته كلها...!».

ومن هذه الأسئلة:

- سلمنا لكم أن البنوك ربا، ولكن الاقتصاد العالمي قائم عليه؛ فهل ننعزل عنه إذا أردنا تطبيق الشريعة؟!
- سلمنا لكم أن العري حرام، ولكن السياح لا يأتون إلا بهذه الهيئة، والسياحة تمثل كذا... وكذا... مِن الدخل القومي؛ فهل نلغيها؟!
- سلمنا لكم أن إقامة الحدود عدل، وأنها الوحيدة التي تحقق الردع الخاص والعام الذي يسعى إليه القانون الوضعي، ولكنه يفشل عندما غلت الأمم المتحدة يده عن اللجوء لمثل تلك العقوبات الرادعة، والأمم المتحدة تفرض عقوبات على البلاد التي تطبق عقوبات بدنية؛ فهل نتحمل مثل هذه العقوبات؟!

وهي قائمة من الأسئلة التي لا تنتهي، ويُلاحَظ عليها الملاحظات الآتية:

- أن السائل دائمًا ما يَفترض أن الشريعة أمر يخص الدعاة إليها ولا يخص عموم المسلمين؛ ومِن ثَمَّ فهو يملك رفاهية طرح الأسئلة، ولا يحمِّل نفسه عناء البحث عن إجابة! ونحن نعترف بأن هناك صعوبات في تغيير واقع ترسَّخ عبر عدة قرون، ولكننا نخاطب جميع المسلمين بأن الشريعة شريعتهم والقضية قضيتهم، وأن على الجميع أن يقدِّم الحلول، والشريعة تتضمن أحكامًا لأحوال الاختيار، وقواعدَ للتعامل مع أحوال الاضطرار.

- أن معظم هؤلاء يَطرحون السؤال في خمس دقائق، ثم يطلبون الإجابة عليه في دقيقة؛ مما يعني أن المقصود أن يترسخ لدى السامع أو القارئ أن الشريعة -حتى وإن استقر لديه وجوب تحكيمها- تطبيقها في هذا الزمان في غاية العسر! فبعضهم يَحتجُ بأن القصور يأتي مِن قِبَل الشريعة ذاتها، الآخرون يرون أن انحرافاتنا هي التي تجذرت بصورة يستحيل التراجع عنها؛ وكلا الأمرين فاسد، وإن كان أحدهما أفسد من الآخر.

- أن الذين يطلقون هذه الدعوات يحاربون أي صور إصلاح موازية؛ مما يثير الشك في غرضهم من هذه الأسئلة، فهم يحاربون البنوك الإسلامية، ويحاربون السندات الإسلامية، ويَسخرون مِن المقاهي التي لا تقدم الشيشة رغم أن هذا يتوافق مع مطالب منظمة الصحة العالمية! وينبري البعض منهم -أو منهن- محتجًا على الممثلات اللاتي يرفضن الأدوار التي تحتوي على مشاهد تَقبيل! «ليس المراد أن ترك هذا الأمر يجعل التمثيل حلالاً! وإنما نبيِّن مدى رفضهم التام لأي إصلاح؛ ولو كان جزئيًا ومحدودًا للغاية!».

وهذه الجزئية الأخيرة تقودنا إلى الأسلوب الثاني مِن أساليبهم، وهو: «تكريس وتعميق الانحراف الحاصل!».

تكريس مظاهر العلمانية:

فالعلمانية هي «فصل الدين عن الحياة»، وقد ظهرتْ في بلاد أوروبا لعوامل راجعة إلى التحريف الذي دخل الدين

النصراني، مما جعله متناقضًا في ذاته مِن جهة ومناقضًا للعقل من جهة أخرى، كما كان لادعاء القساوسة أن الوحي مستمر عن طريق إلهام مجامعهم الكنسية ومِن ثَمَّ تبنيهم لنظريات علمية وادعائهم أنها مِن جملة الوحي الإلهامي - الأثر الأكبر في الصدام بيْن الدين والعلم هناك؛ مما نتج عنه اجتياح العلمانية للعالم الغربي.

وحينما جاءت العلمانية إلى بلاد المسلمين لم تجد ذات البيئة التي أنتجت العلمانية في أوروبا؛ فعمِلتْ على محاولة فرضها وصنعها «ولو بالتزييف!»، ومع هذا فقد نجحت العلمانية في فرض نفسها على العالم الإسلامي باستعمال الكثير مِن الأساليب.

والتي يمكن إرجاعها إلى ثلاثة أساليب، هي:

١- **الضغوط الخارجية:** وتَمثَّل هذا في أمور، مِن أبرزها: نظام الحكم والقضاء، وقضايا المرأة والحريات.

٢- **استغلال حالة الفراغ في بعض المجالات:** كمجال التعليم الجامعي الذي كانت بداياته على أيدي العلمانيين، وإن أصبح فيما بعد مِن المنابع الرئيسة للتيار الإسلامي -بحمد الله-، وكمجال الإعلام الذي كانت بداياته على أيدي العلمانيين، بل النصارى الوافدين، وكذلك مجال الفن الذي بدأ واستمر مخاصمًا لهوية الأمة إلا في القليل النادر.

٣- **ويأتي في ذيل** هذه الأساليب أسلوب الإقناع الذي لم يكن إقناعًا نزيهًا بقدر ما كان تزييفًا للواقع والتاريخ؛ لإيهام المتلقي بوجود

مبررات لوجود العلمانية في العالم الإسلامي كما وُجدتْ في الغرب!

هذا وقد راجت العلمانية فترة وجيزة مِن الزمن، وظنت أنها مَلكت عقول الشباب بالسيطرة على التعليم، وعقول العامة بالسيطرة على الإعلام «وأهم مِن هذا كله: ترسيخ نظام الحكم العلماني»، لكنها سرعان ما اكتشفت الحقيقة التي تقول إن مكانة الدين في قلوب العامة في العالم الإسلامي أعمق من أن تهزها هذه الزخارف، وعمت العالم الإسلامي صحوة وممانعة جارفة للتيار العلماني أجبرتها على التراجع، وبدأ هذا التراجع وهي في عز زهوها؛ فاضطرت لجنة دستور ١٩٢٣م في مصر إلى الموافقة بالإجماع على وضع مادة «الإسلام دين الدولة» رغم وجود عددٍ مِن النصارى في اللجنة، وكون عامة اللجنة تقريبًا مِن العلمانيين باستثناء الشيخ «محمد بخيت المطيعي»[٦] -رحمه الله- الذي اقترح هذه المادة؛ فتمت الموافقة عليها بالإجماع.

ثم صدر الدستور الكويتي عام ١٩٦٢م ليأخذ خطوة أخرى للأمام، ويضع مادة تتحدث عن الشريعة الإسلامية «وثمة اعتقاد بوجود دور للدكتور عبد الرزاق السنهوري[٧] في اقتراح هذه المادة على لجنة الدستور في الكويت؛ حيث كان يعمل وقتها مستشارًا

(٦) هو الشيخ شمس الدين محمد بن بخيت بن حسين المطيعي ولد -رحمه الله- ١٠ محرم ١٢٧١هـ- ١٨٥٦م وعين مفتيا للديار المصرية ٢٦ ديسمبر ١٩١٤م

(٧) الدكتور عبدالرزاق السنهوري: أحد أعلام الفقه والقانون في الوطن العربي ولد رحمه الله ١٩ سفر ١٣١٣هـ- ١٨٩٥م، تدرج في القضاء حتى صار وكيلا لوزارة العدل ثم ميشارا ثم وكيلا لوزارة المعارف.

قانونيًّا لأمير الكويت»، ثم جاء الدستور المصري ليضيف هذه المادة في دستور ٧١، وكذلك الدستور الباكستاني واليمني؛ بينما اكتفى الدستور الأردني والتونسي بمادة «الإسلام دين الدولة»؛ وبصفة عامة فقد صارت دساتير معظم الدول الإسلامية تنص على إحدى هاتين المادتين أو كلتيهما.

وصارت معركة كبرى تحاول فيها العلمانية -مهما كان تراجعها على المستوى الفكري والشعبي- ألا تتراجع مظاهر وجودها على أرض الواقع؛ لا سيما في المجالات التي حققت فيها العلمانية في بداية أمرها وجودًا بارزًا؛ استنادًا إلى ما سبق ذكره من عوامل؛ وذلك على النحو الذي سوف نوضحه -إن شاء الله-.

شعوب العالم الإسلامي إسلامية أم علمانية؟!

مِن الموضوعات الشائكة التي تتردد كثيرًا... توصيف حال الشعوب في العالم الإسلامي: هل هي متدينة بطبعها أم أنها علمانية بطبعها؟!

ومِن المفترض أن تكون الإجابات على الأسئلة المتعلقة بتوصيف الواقع موضوعية تصف الواقع على ما هو عليه، لا على ما كان يتمنى صاحب الإجابة أن يكون الواقع عليه.

ولكننا في هذا السؤال نجد ظاهرتين:

الأولى: ادعاء العلمانيين أن الشعوب علمانية بطبعها على الرغم مِن أنك متى سألت عامة الناس مِن مختلف الطبقات الثقافية

والاجتماعية عنها؛ لمَا وجدت مَن يعرف معنى العلمانية فضلاً عمن يعتنقها إلا نذرًا يسيرًا!

الثانية: محاولة بعض التيارات الإسلامية تثبيت تهمة العلمانية على العامة، تمامًا مثل «التيار القطبي» الذي يحاول جاهدًا إثبات تهمة جاهلية المجتمعات، وفي هذا الصدد تجد الأستاذ «محمد قطب» دائم الدندنة حول واقعة ضبط فتاة وشريكها في سرقة مواشي من حظيرة، وأنها دفعًا لتهمة السرقة عن نفسها قد بررت وجودها مع هذا الشخص في هذا المكان بغرض مواقعة الفاحشة، ثم ينعى الأستاذ «محمد قطب» حال الأمة التي تغلغلت فيها العلمانية حتى تشربتها تلك الفلاحة البسيطة في قريتها النائية! في حين أن هذه الفتاة التي تشترك في تشكيل عصابي لسرقة البهائم لا يمكن بحال مِن الأحوال أن تكون مقياسًا، كما أن الحيلة التي لجأتْ إليها؛ مِن الواضح جدًّا أنها حيلة قد لقنَّها لها محاميها.

وإذا أردنا الإجابة الموضوعية على هذا السؤال؛ فسوف نجد بوضوح أن الشعوب محبة لدينها، معتزة به، وأن الأغلبية الساحقة ترى وجوب الالتزام بالشريعة؛ مما ينفي عنها تهمة العلمانية، ومع هذا فيبقى أن هناك مظاهر انحراف كثيرة راجعة إلى أسباب كثيرة.

وهذه الأسباب يمكن إجمالها في نقطتين:

الأولى: الضعف أمام الشهوات الذي يصل إلى حالة رفض

أن تقوم السلطات بمنعها! مثل: «التدخين» في معظم البلاد، و«التبرج» في كثير منها، وهكذا...

الثانية: الاستسلام لفكرة شيوع الحرام في باب من الأبواب؛ مما يؤدي إلى زوال أثر تحريمه من النفس، ومِن هذا أن بعض البلاد قد انتشرت فيها الرشوة رغم حرمتها شرعًا، ومنعها قانونًا، ومن الممكن أن تجد أن مَن يقدم على تلك الجريمة يتورع عن جرائم من جنسها: كالسرقة أو الغش؛ وهذا لأنه يوهِم نفسه أن الرشوة رغم حرمتها أصبحت في حكم الحق المكتسب مِن كثرة شيوعها!

ونفس الأمر ينطبق على الربا، وقد روي في الأثر: «يوشك أن يأتي على الناس زمان مَن لم يأكل الربا؛ أصابه مِن غباره»، وتجتهد الأبواق العلمانية في سبيل تكريس الواقع العلماني إلى مخاطبة أمثال هؤلاء «أنه ما دام أنه سيصيبك من رذاذ الربا حتمًا ولا بد؛ فلتأكله صراحة ولا حرج عليك في هذا!»، وهى حيلة شيطانية خبيثة يحاول بها العلمانيون تثبيت أقدام العلمانية في واقع الأمة بأي حجة «ولو كانت زائفة!».

مجالات الانحراف العلماني ووسائل تكريسه

أولاً: مجال الحكم والقضاء:

وهذا مصداقًا لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الإِسْلَام عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلاَةُ) (رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألباني)، فقد كانت أولى المجالات التي تصدَّرت العلمانية فيها المشهد: نظام الحكم «أو بالأخص الجانب القضائي منه»؛ حيث فرضت الدول الأوروبية على الدولة العثمانية نظام الامتيازات الأجنبية، والمحاكم الأجنبية مستغلة الضعف الذي دبَّ فيها وهزائمها العسكرية، وحاجتها إلى الدعم الأوروبي، وكانت هذه المحاكم تحكم بغير بالقوانين الأوروبية فيما يتعلق برعايا هذه الدول صاحبة الامتياز، ثم نشأت المحاكم المختلطة لمعالجة هذا الازدواج التشريعي في ذات البلد، وطبِّق فيها القانون الفرنسي المترجم؛ لتصبح هذه هي أدنى وهدة في منحنى التراجع الحضاري للبلاد الإسلامية، ومع أن هذه الجولة قد جاءت عن طريق الضغط الخارجي، ورغم أن كليات الحقوق في العالم الإسلامي قد أُنشئت لتدرس ذلك القانون الفرنسي؛ إلا أن رفض الأمة لهذا النبت الغريب جاء سريعًا، وعلى يد مَن أريد لهم أن يكونوا كهنة هذا القانون الجديد، إلا أن الاستفاقة -وإن جاءت سريعة- أتت في غاية البطء، وإلى يومنا هذا وهي تسير

بسرعة السلحفاة!

ومما يُحْسَب للسنهوري باشا -رحمه الله- أنه قاد عملية العودة إلى الشريعة، ولكن للأسف أنه مما يؤخذ عليه أنه خطط لعملية عودة في غاية البطء حينما جعل أقصى طموحه في مشروع القانون المدني المصري ١٩٤٨م أن يُكتب القانون بلغة عربية فصيحة غير مرتبطة بالترجمة الحرفية للقانون الفرنسي، وأن يدخل فيه ما لا يصعب إدخاله من أحكام الشريعة؛ ومنذ ذلك الحين ربما كان التطور الآخر الذي جاء على يد حكومة «ثورة يوليو» هو إلغاء تقنين البغاء، وليبقى هذا الحمل الثقيل يزداد رسوخًا يومًا بعد آخر.

وفي هذا الصدد: يبذل العلمانيون جهودًا مضنية في منع أي مشاريع قوانين تحاول التقدم خطوة في اتجاه العودة إلى الشريعة، بل ويحاولون إلغاء أو تعطيل المواد الدستورية الخاصة بمرجعية الشريعة لتمرير المزيد من القوانين المخالفة لها، ولتكريس الواقع العلماني للقوانين.

التصدي لأسلمة الديمقراطية:

يعتبر نظام الحكم الديمقراطي أفضل ما أنتجه الفكر العلماني الغربي في مجال الحكم، وذلك في مقابلة نظام الحكم الشمولي ونظام الحكم الثيوقراطي، ولكن مفكري الديمقراطية وجدوا أنه مِن الخطر -لا سيما بعد اعتماد الديمقراطية النيابية كأسلوب في معظم الدول؛ خاصة الدول التي تتميز بعددٍ كبير للسكان- أن

يُمنَح الفريق صاحب الأغلبية الديمقراطية الحق في تغيير هوية المجتمع، بل ربما تغيير الديمقراطية ذاتها! فكان الحل في أن يتم وضع أصول وأسس عامة في مرتبة أعلى مِن القوانين «وهي الدستور» والتي عادة ما تقر بالديمقراطية المباشرة؛ لتكون أكثر تعبيرًا عن هوية الشعب وإرادته، وهو الباب الذي وَجد فريق مِن الإسلاميين أنه مناسب لعمل ما يمكن أن نطلق عليه: «أسلمة الديمقراطية» بأن يوضع في الدستور المواد التي تقرر المرجعية العليا للشريعة الإسلامية.

وهو الأمر الذي يحاول العلمانيون التصدي له بكل ما يملكون، ولكن التقدم الذي أحرزته الأمة في معظم البلاد الإسلامية في باب «أسلمة الدساتير» كان أكثر وضوحًا وتقدمًا بكثير مِن التقدم على المستوى القانوني، وفي هذا الباب لا يُخلِص العلمانيون لقواعدهم ولا يحترمون إرادة الأغلبية، بل يصفونها بالجهل، وبأنها تُشترى بالزيت والسكر! وفي هذا نقض لأسس التحاكم إلى الصندوق التي ينادون بها!

كما أنهم يلجأون إلى الخرق الواضح والصريح لهذه الدساتير معتمدين على الجوقة الإعلامية الكبيرة، ومِن أكثر الأمثلة فجاجة في هذا الباب؛ تصرفات وتصريحات د.«جابر عصفور» الذي يصر على أن حرية الإبداع لا سقف لها مخالفًا لكل الدساتير المصرية، كما يصر على «عدم اختصاص الأزهر» بإبداء الرأي الشرعي في الأعمال الفنية بالمخالفة الصريحة لدستور ٢٠١٢م ودستور ٢٠١٤م الذي تولى الوزارة بموجبه!

المجال الاقتصادي:

دخل الربا إلى بلاد المسلمين تأثرًا مِن خلال قوات الاحتلال التي كانت تحتل بلاد المسلمين، وتم الضغط لتوغل الربا في حياة الأفراد والمؤسسات، ويحاول العلمانيون استغلال بعض الفتاوى الشّاذّة لنفي وصف الربا عن التعاملات البنكية، كما يحاولون من باب آخر إقناع العامة أنه لا مناص من الربا؛ ومِن ثَمَّ فهم يحاربون وبكل ضراوة ليس العودة إلى الاقتصاد الإسلامي، بل يحاربون أن توجد قنوات اقتصادية موازية، مثل: «إنشاء فروع معاملات إسلامية للبنوك»، ومثل: «وجود قوانين استثمار وفق النظام الإسلامي!».

المجال الاجتماعي:

في نظام الاجتماع أيضًا يحاولون تكريس كل المكاسب التي حصلوا عليها لتأليب المرأة المسلمة تحت ستار: «تأليبها على المجتمع الذكوري»، ولكن في الواقع كان «تأليبها على الشريعة الإسلامية».

أيضًا لا بد أن نعترف هنا: أننا أحيانًا نعين هؤلاء في مهمتم؛ فنجد أن المجتمعات الإسلامية مع اختلاف عاداتها يوجد فيها درجات مِن درجات ظلم المرأة، وأن هذه الدرجات يستثمرها الأعداء؛ فينطلقون مِن محاربة هذا الظلم الذي تجب محاربته شرعًا وعقلاً إلى محاربة أمور من الشرع الذي كله عدل، ولكنها وفق النظريات الغربية المعوجة فيها ظلم أو تمييز ضد المرأة.

ومِن أمثلة هذه الثغرات: العادات التي تنتشر في كثير مِن الأقطار مِن منع المرأة مِن حقها في ميراث أبيها، أو في إجبارها على الزواج ممن لا تريد، أو في إعضالها في الزواج من كفئها، أو غير ذلك من الصور.

باختصار يمكننا أن نقول: إن العلمانية قد تسللت إلى بلادنا في لحظة ضعف، وعدم كفاءة لجهاز المناعة في الأمة، وإنها حققت نجاحات في فترة وجيزة مِن الزمن، وإن اتجاه التغيُّر قد تَحوَّل في اتجاه العودة إلى الشريعة.

وإن معركة العلمانيين تدور حول ثلاثة محاور:

الأول: محاولة إعادة اتجاه التغير إلى جهة العلمانية.

الثاني: محاولة إعاقة التقدم في اتجاه العودة.

الثالث: محاولة إيجاد اتجاه يبدو بيِّن الاتجاهين «وحبذا لو كان إلى اتجاه العلمانية أكثر!».

ترويض الظاهرة الدينية:

نجحت العلمانية في فرض نفسها على واقع الحكم في الغرب مستثمرة للأخطاء الفادحة للحكم الديكتاتوري الثيوقراطي، كما نجحت في فرض واقع في بلاد المسلمين مستندًا إلى قوة الاحتلال العسكري، وبقيت هذه التركة الثقيلة لم يتم إصلاحها في الواقع القانوني رغم أنها أُصلحت دستوريًّا في كثير مِن البلاد كـ«مصر».

وعلى الرغم من ذلك فقد هُزمت العلمانية اجتماعيًّا حتى في دول أمريكا وأوروبا ذاتها، لا سيما إذا استصحبنا «مفهومهم للدين»، وأنه دين يقبل درجة كبيرة مِن درجات العلمانية -كما سيأتي إن شاء الله-.

وأما فشلها في «بلاد المسلمين» فأوضح مِن التدليل عليه.

ورغم أن كثيرًا مِن التيارات الإسلامية تخطئ «أخطاءً كارثية» ويحاول العلمانيون إلصاقها بالإسلام ذاته؛ إلا أن هذا الأمر لا يَلقى قبولاً لدى القطاع الأكبر مِن الناس في بلاد المسلمين -بفضل الله-، وهذا ما دفع العلمانيين إلى سلوك اتجاه موازٍ دون التنازل عن الطريق الأصلي، وهو نشر العلمانية الصريحة والدعوة إليها، وهذا الطريق الاحتياطي هو: «محاولة ترويض الظاهرة الدينية»، وذلك عبر وسائل، منها:

تقديم عدة نماذج مِن العلمانية:

أحد وسائل معسكر العلمانيين في محاولة كسر عزلة العلمانية «لا سيما في العالم الإسلامي»، هي: إبراز اختلاف مذاهب العلمانيين، وتقسيم العلمانية إلى متطرفة ومعتدلة، أو إلى شاملة وجزئية، أو إلى مدارس مختلفة منها.

وأشهرها ثلاث مدارس، وهي:

- **المدرسة الفرنسية** المضادة للدين، وشعارها: «اشنقوا آخر إقطاعي بأمعاء آخر قسيس!».

- **المدرسة الإنجليزية** الأكثر رواجًا في أوروبا: وهي لا تتحدث عن الدين لا بسلب ولا بإيجاب، وهذا يعني أنها لا تستحضره عندما تتحدث عن تشريع عام أو نظام عام.

- **المدرسة الأمريكية** التي تحترم الدين: فلا بأس أن يكون الدين جزءًا من مكونات شخصية الرؤساء والمسؤولين، ولا بأس أن يستشهدوا بنصوص دينية، لكن غير مقبول إطلاقًا أن تتحدث عن الدين كمرجعية عليا.

وبالتالي فأكثر مدارسهم اعتدالاً «هي عندنا مدرسة متطرفة»؛ لأنها لا تقر بالمرجعية العليا للشريعة التي يقتضيها دين الإسلام.

وتجد الواحد مِن هؤلاء حتى ولو كان مؤمنًا بأقصى صور العلمانية تطرفًا يتشدق كلما ناقش الإسلاميين بأن الإسلاميين لا

يفهمون العلمانية، أو -على الأقل- لا يفرقون بين أنواعها، وأنهم أصدروا حكمهم على العلمانية الفرنسية وعمموه على كل الأنواع! مع أن المدرسة الأمريكية هي الأكثر رواجًا الآن.

وهـؤلاء يجهلون -أو يتجاهلون- أنـه حتى تلك العلمانية الأمريكية مناقضة لقوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾. (الجاثية:١٨)، وقوله -تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. الأنعام:١٦٢

الزعم أن الدين علماني بطبعه!:

وهـي أحـد أخطـر وسـائل العلمانيين فـي تـرويض الظاهرة الدينية، وقد لاقت قبولاً كبيرًا في بلاد الغرب، وهي تستند إلى نص في الإنجيل منسوب إلى عيسى -عليه السلام- يقول: «دع ما لله لله، وما لقيصر لقيصر»، وساعدهم على هذا أن الأناجيل خلت من التشريعات، وهذا ربما يفسره القول المنسوب إلى عيسى -عليه السلام- في الإنجيل: «ما جئتُ لأنقض الناموس، ولكن لأتممه».

ومـع هـذا فقد «كـان الإنسـان الأوروبـي ممزقًا» بـيْن عاطفته الدينية التي تمثّل له زادًا روحيًّا وهوية تاريخية، وبين العلمانية التي أصبحت واقعًا في حياته؛ فكان الحل هو استدعاء الدين بتفسيره المتعايش مع العلمانية، وهذا ما يحاول العلمانيون في بلادنا فعله، إلا أن ثمة فارقًا جوهريًّا وهو أن الغربيين يدركون أن دين الكنيسة الكهنوتي في العصور الوسطى دين آخر غير دينها

المتعايش مع العلمانية، بينما يأتي علمانيو بلادنا في المناقشة، ويسردون تاريخ الدين النصراني في أوروبا وكأنه ينطبق تمام الانطباق على ديننا، ثم يختزلون ذلك التاريخ في اللحظة الراهنة، فتراهم يزعمون أن الدين «أي دين، ومنه: دين الإسلام!» كهنوتي بطبعه؛ لكي يَنفروا الناس عن التحاكم إليه ثم يعودون ويقدمون الحل في اعتبار أن الدين «أي دين، ومنه: الدين الإسلامي» علماني بطبعه، ولا يمثّل إلا علاقة خاصة بين العبد وربه.

وفي الواقع: إن الدين الإسلامي «لا يقبل لا الكهنوت»، ولا «العلمانية»، وإنما هو دين التوحيد القائم على أننا متعبدون بالطاعة المطلقة لله وحده أصالة، ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- المبلغ عنه، وكل طاعة بعدهما مقيدة بطاعتهما، كما قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء:٥٩).

وهذا ينافي «الكهنوت» و«العلمانية» على حد سواء، وهذا الجانب من أهم ما ينبغي إدراكه من أن «الإسلام هو الإسلام»؛ لا يجوز انتزاع قاعدة من دين آخر ثم تطبيقها عليه.

المطالبة بعلمنة الدين:

وهي مطالبات تأخذ شكلاً صريحًا أحيانًا، مثل: تقرير مؤسسة «راند» الذي جعل معيار الاعتدال عنده ليس مجرد سلوك منهج

المواءمة بين الإسلام وبين معطيات الحضارة الغربية كما فعلت مدرسة «الأفغاني» و«محمد عبده»، بل يطالِب بفقهٍ جديدٍ يستند على الواقع دون محاولة ربطه بالنصوص، وتأخذ أحيانًا عبارات مجملة تحتمل معانٍ مقبولة وأخرى مردودة كمزيدٍ مِن التلبيس، مثل: «تجديد الخطاب الديني».

وتجديد الخطاب الديني يُطلق، ويُراد به أحد ثلاثة معاني، اثنان مقبولان، والثالث مردود:

المعنى الأول: تنقية الدين مِن الأفهام الخاطئة.

المعنى الثاني: مخاطبة الناس على قدر عقولهم وبلغة يفهمونها، والاهتمام بما استجد مِن مشاكلهم.

المعنى الثالث المردود: التلاعب في أحكام الدين ذاته.

ويشمل ذلك صورًا تتفاوت في تطرفها وانحرافها، منها:

- استعمال منهج المواءمة بين الشريعة الإسلامية والحضارة الغربية، بحيث تصبح معطيات الحضارة الغربية هي أحد المرجحات الفقهية في مسائل الخلاف، وهذا المنهج الذي سلكه «الأفغاني» و«محمد عبده»، ثم آل إلى حالةٍ شديدة مِن إخضاع الشريعة لمعطيات الحضارة الغربية عند «الترابي» و«الغنوشي»، ولا يعني هذا أننا لسنا بحاجة إلى صلاحية الشريعة للتطبيق في كل زمان ومكان أو أننا لا نقر أن للواقع أثرًا في الفتاوى، ولكن المشكلة في اعتبار أن له أثرًا في الأحكام؛ ولهذا الأمر مقام آخر في بيان ضوابط استعمال قاعدة: «تغيُّر الفتوى بتغير الزمان والمكان».

- **ومِن أشدها خبثًا:** ادعاء تاريخية الخطاب الديني، وحصر كل آية في سبب نزولها؛ مما يساوي عمليًّا زعم أن كل نصوص الوحي كتابًا وسنة قد نُسخت يوم نزولها، وصارت تاريخًا لكَ أن تحاكيه إن شئت أو تعرض عنه إن شئت! (وقد رد عليهم «شيخ الأزهر» في كتابه المشار إليه آنفًا.

- **وأما أشد هذه الدعوات خبثًا على الإطلاق:** فهي «الدعوة إلى نقد النصوص ذاتها»، بل ربما تبجَّح بعضهم ودعا إلى نقد القرآن ذاته -والعياذ بالله!-.

تنبيه: دعوة الرئيس «عبد الفتاح السيسي» مِن أي نوع كانت؟!

قدَّمنا أن «تجديد الخطاب الديني» لفظ مجمل يحتمل معانٍ مقبولة، وأخرى مردودة، وعندما يتكلم أحد بلفظ مجمل كهذا؛ فإذا كنتَ تحمل الخير للجميع «لهذا المتكلم ولمن يسمعونه» فقد وجب عليك أن تحاول أن تسأل المتكلم، وبالطريقة التي تعينه بها على تفسير كلامه على المعنى الموافق للحق؛ لا سيما إن كان متبوعًا مِن عالم أو رئيس أو نحوهما، وهذا ينبغي ألا يكون له أي علاقة بموقفك الشخصي أو السياسي أو غيره منه؛ لأن دور الداعية هو هداية الناس إلى الحق، واتخاذ التدابير الموصلة إلى ذلك ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وبخصوص هذه التصريحات فقد سارع البعض إلى تفسيرها بالتفسير غير الموافق للحق «للخلاف السياسي بينهم وبين الرئيس»،

ولكن الحمد لله أن غيرهم سلك غير هذا المسلك، وأن كلام المؤسسات الدينية خرج في غاية الانضباط، ثم كانت تصريحات «الرئيس» نفسه في هذا الباب في حواره مع قناة «سكاي نيوز»، والذي قال المصلحون لما سمعوه: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات».

وهذا نص السؤال والجواب من الحوار:

س: على هامش تجديد الخطاب الديني حضرتك ذكرت ثورة دينية؛ ماذا كنتَ تقصد بها؟!

ج: هناك فرق بين مَن أساء الفهم وبين مَن يريد أن يحمِّل كلامي ما لا يتحمله، فهناك دول كثيرة تقدمت، ونحن نريد تعديل في الفكر.

س: هل هذا في الأفكار الأساسية؟

ج: لا طبعًا، لا أحد يتكلم في العقيدة، الثوابت لا تعديل فيها، أما بعض الأفكار التي تصل بنا إلى تقتيل بعضنا، هذه الأفكار لا بد أن نواجهها بشجاعة وأمانة.

س: هل هذه مسؤولية المؤسسة الدينية فقط؟

ج: هذه مسؤوليتنا جميعًا؛ حكامًا ومحكومين، نحتاج جميعًا إلى تغيير هذا الوضع».

تثوير الدعوة الإسلامية:

«في العلوم السياسية يقسِّمون التيارات التي تنادي بالتغيير إلى تيارات إصلاحية تؤمن بالتغيير التراكمي المتدرج، وتيارات ثورية تؤمن بالتغيير الجذري الفوري، ونحن بهذا المصطلح ننتمي إلى الفكر الموصوف بالإصلاح أيضًا.

وينبغي هنا أن ندرك أن الثورات هي حالات فوران مؤقتة تسقط نظام الحكم، ومِن ثَمَّ فإنه لا التيارات الإصلاحية، ولا التيارات الثورية تصنع الثورة، وإنما تنشأ الثورة حينما تُغلق كل طرق الإصلاح، ويصل المجتمع ككل إلى حالة الغليان، ومِن ثَمَّ فقد تنفجر الثورة كرد فعل لحادث تكررت حوادث مِن جنسه أو ربما أفدح منه.

وإذا كانت الثورة كحدث لا يستطيع أحد تحديد لحظة انفجارها، فيبقى الفرق بين التيارات الإصلاحية والتيارات الثورية في آليات العمل؛ فالتيارات الإصلاحية تسعى لتحقيق القدر الممكن من الإصلاح «ولا تعتبره هو سقف آمالها»، وإنما تنطلق لتحقيق مزيدٍ من الإصلاح، بينما تسعى التيارات الثورية إلى تأزيم المواقف؛ أملاً في الوصول إلى حالة الثورة!

ومِن هذا العرض يتبين أن: القضية ليست في تبني آليات إنكار واضحة كالمظاهرات أو الاعتصامات والإضرابات، ولكن في الهدف مِن وراء هذه الفاعليات وغيرها.

وعلى الرغم من وجود تيارات تؤمن بالحل العسكري في

أوساط الصحوة الإسلامية؛ ظنًّا منهم أن هذا نوع مِن الجهاد! فإنه لم يكن يوجد مَن يدعي حالة الثورية حتى قامت «ثورة الخامس والعشرين من يناير»، وعلى الرغم من أن «ثورة الخامس والعشرين من يناير» بدأت بفعل إصلاحي -مظاهرات محدودة تطالب بمطلب محدد وهو عدم التوريث-، والأهم من ذلك أنها كانت نتاج عمل إصلاحي تراكمي - إلا أن انقلابها إلى ثورة ثم نجاحها؛ أغرى بعض الكيانات الإسلامية، وبعض الشباب الإسلامي أن يصف نفسه بالثورية!

مع أنه لا يلزم مِن المشاركة في ثورة متى اندلعت استمرار ذلك؛ لا سيما إذا اندلعت كنتاج لتراكم إصلاحي لا يوجب على مَن شارك فيها أن يبقى ثائرًا أو يرفع شعار: «كل مطالبي وإلا فالثورة مستمرة!»، وقد عانى فريق من الإسلاميين حينما وصل إلى السلطة من استمرار «حالة التثوير» المستمرة.

ناهيك عما تستلزمه الحالة الثورية مِن بعض التأويلات في الأحكام والدماء التي تتشابه إلى حد ما مع تأويلات تيارات المواجهة المسلحة، بل «ربما تتطابق معها» حينما يقف الجيش مع النظام السياسي الحاكم، أو عندما تكون المواجهة معه أصلاً، فلا يكون هناك مجال للكلام عن «ثورة سلمية!»، بل لا بد مِن تحولها إلى مواجهة مسلحة بناءً على ما تم رصده عبْر التاريخ مِن أنه لا تنتصر ثورة سلمية إلا بتأييد الجيش «أو حياده على الأقل».

ومِن رؤية واقع حال هذه التيارات التي تتصاعد وتيرة ثوريتها على مر الوقت؛ فتزداد درجة شراستها، ودرجة تبنيها للعنف،

وإهدارها لحرمة الدماء، وشيوع التهم بالعمالة والتكفير والتخوين - ندرك تمامًا خطورة أن تتحول التيارات الإسلامية من موقع «الهداية» إلى موقع «التثوير».

ومِن الملاحظ: أن كثيرًا مِن القوى العلمانية والمؤسسات الدولية، مثل: أكاديمية التغيير، وغيرها، يدركون مدى التغيير الذي يطرأ على الحركات الإسلامية عندما تتبنى المنهج الثوري؛ فتخلع رداءها الإصلاحي وترتدي ثوب الإفساد، والسب والشتم، ونشر فضائح الخصوم «الصحيح منها والباطل»، وزوال أي فرق منهجي أو أخلاقي بينهم وبين باقي الفصائل الثورية الأناركية أو غيرهم؛ ومِن ثَمَّ فهم يدفعون الحركات الإسلامية في هذا الاتجاه دفعًا.

ترويع المؤسسات الدينية الرسمية والأهلية!:

إذا أردتَ أن ترى تطبيقًا عمليًّا لما يسمى بالإرهاب الفكري؛ فما عليك إلا أن تشاهد القنوات العلمانية إذا ما قررت الهجوم على أحد الفصائل الإسلامية، فإنك قد تجلس أمام التلفاز وتدير «الريموت» فتظن أن خللاً ما أصابه، وأن القنوات قد غدت قناة واحدة، وأن البرامج قد غدت برنامجًا واحدًا متعدد المذيعين، وأن الجميع يعزف لحنًا واحدًا، ويستقي مِن معينٍ واحدٍ!

وقد كنا نظن أن هذا خاص بالدعوات الإسلامية الأهلية، حتى أشار «قائد الأوكسترا» - الذي لا نراه، ولكن نرى أعضاء فرقته!-؛ فعزف الجميعُ لحَن هجاء «الأزهر»؛ شيخًا ووكيلاً،

ومؤسسة ومناهجَ! فما زال هجاؤهم تتردد نغماته النشاز، ونحن لا ندري إلى أي غاية يقودوننا؛ حتى صرَّح بعضهم: «نريد مؤسسة بديلة للأزهر تدافع عن الإسلام الوسطي!»، وهذا بدلاً مِن الأزهر الذي جاءتهم نشرة مفاجئة بأن ما كرروه مرارًا أنه يمثِّل «الإسلام الوسطي» لم يعد صحيحًا!

وبالطبع فإن «مناهج الأزهر» لم تتغير، ولكن معايير الإسلام الوسطي عند بعض الهيئات «المانحة» للقب «وسطي» قد تغيرت.

ومِن هنا رأينا أنه مِن واجبنا أن نقف مع «الأزهر»؛ لأن وجوده يحافظ على كثيرٍ مِن عموم المسلمين، وعلى الكثير مِن المفاهيم الصحيحة في مواجهة «الفكر العلماني الوافد».

وهذا لا يمنع مِن الاختلاف مع بعض شيوخ الأزهر أو حتى مع المؤسسة ذاتها، ولكن بكل أدب واحترام، وحفظ هيبة المؤسسة وشيوخها في نفوس عموم المسلمين؛ لا سيما وأننا كما قلنا مرارًا: «ليس مِن قول نتبناه إلا ولنا فيه مِن علماء الأزهر سلفًا قد قال به، وربما درَّسه في الأزهر ذاته».

خاتمة

ختاماً: أسأل الله أن أكون قد وُفقتُ لعرض أهم الأساليب التي تُمرَّر بها هذه الفكرة الدخيلة على ديننا؛ لعلنا ننتبه إليها، ونسد هذه الثغرات ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المحور الرابع

التطور التاريخي للإخوان المسلمين وتجاربهم السياسية وأثرها

وجوانب الفشل في فكر الإخوان وما هو الفكر السروري

أولاً: الدكتور عبد الرحمن الجيران

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خيرته من خلقه أجمعين نبينا وإمامنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

وبعد:

فإن التحول الفكري أو التطور الفكري في منهج جماعة الإخوان المسلمين. موضوع واسع ومتشعب لكن في البداية سأعرض أمامكم ما توصلت إليه، بعد دراسة عدة كتب، ودراسات مختلفة المشارب للحديث حول هذه المسألة وهي: التحول الفكري في فكر ومنهج جماعة الإخوان المسلمين. أستطيع أن أخلص إلى هذه النتيجة؛ وهي: أنه لا يوجد أي تحول فكري منهجي في فكر جماعة الإخوان المسلمين على الرغم من طول التجارب وتكرار الأخطاء، وهذا ما صرح به نجل حسن البنا -رحمه الله- بعد الثورات الأخيرة في مصر، حيث نفى أن يكون هناك أي تحول في منهج وفكر الجماعة «جماعة الإخوان المسلمين». وكذلك ما أعلن ونشر في قناة الجزيرة من مقابلة مع الأستاذ يوسف ندا حينما وجه إليه المحاور سؤالا أن جماعة الإخوان المسلمين منذ سنة ١٩٣٩م إلى تاريخ المقابلة قد هدمت كل ما بنته خلال هذه المسيرة الطويلة، فما كان من جواب إلا أنه قال: هذه غلطة. هكذا إذن تختصر الأمور وهكذا إذن يتم التعامل مع تجارب مريرة جنت منها الأمة الإسلامية الكثير من إراقة الدماء.

وعليه فأننا نستطيع التأكيد أنه لا يوجد تحول كبير في منهج وفكر الإخوان المسلمين سوى إعادة ترتيب الأوراق من جديد، ومعلوم أن فكر الإخوان المسلمين قائم على مدرستين؛ مدرسة حسن البنا، ومدرسة سيد قطب – رحمهما الله.

والتحول الفكري والتأصيل المنهجي بدأ من مدرسة حسن البنا –رحمه الله– وفي مؤتمر ١٩٣٩م، وهنا يكمن الخطأ المنهجي الذي تبعه هذه المسيرة الطويلة ولليوم للأسف تمثلت بهذا السقوط الذريع لمشروع الإخوان المسلمين، وأنا في تقديري يتوالى السقوط لهذه المشاريع على امتداد تاريخ الأمة الإسلامية لأسباب كثيرة ليس هذا محل بحثنا لكنه نفس المأخذ، عندنا سقوط جهيمان العتيبي ومشروعه، عندنا سقوط طالبان، سقوط الجبهة الإسلامية للإنقاذ، سقوط السودان.

هذه كُلها وإن كانت مختلفة المدارس والمشارب إلا أنها يجمعها تأصيل واحد لأسباب السقوط، وأخيرا سقوط مشروع الإخوان المسلمين، ولكن أحب أن أؤكد أن سقوط هذه المشاريع وكثير من غيرها مما لم نذكره هنا، ليس هو سقوط للإسلام، وفرق كبير بين هذا وذاك، ليس هو سقوط للإسلام الذي أخبرنا عنه رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– وأنه سيكون في آخر الزمان، لكن هذه أخطاء، وأخطاء فاحشة يجب أن تتدارك من قبل العقول النيرة، والناس المخلصين لله –عز وجل– أن يتناصحوا فيما بينهم.

الخطأ المنهجي أو التحول الفكري ممكن أن نقول هو الذي

حمل في طياته أسباب فشل مشروع الإخوان المسلمين، وأن في هذا المؤتمر، مؤتمر سنة ١٩٣٩م تم تقسيم العمل الإسلامي من قبل حسن البنا إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى سماها: الغاية القريبة.

والمرحلة الثانية سماها: الغاية البعيدة.

أما الغاية القريبة فهي مرحلة الوعظ والإرشاد والعبادة.

والمرحلة البعيدة هي الجهاد وإعلان الخلافة.

ويبدو أنهم اعتقدوا في الأحداث الأخيرة في مصر أنهم انتهوا من المرحلة الأولى ودخلوا في المرحلة الثانية، وهذه هي المدرسة الأولى التي أسسها حسن البنا وسار وتربى على منوالها أجيال من الشباب، وانبثق من تحت عباءتها كثير من التنظيمات العنقودية للإخوان المسلمين.

أما المدرسة الثانية وهي لا تقل عنها أهمية بل لعلها هي التي توجه بوصلة الجماعة عند الإخوان المسلمين هي مدرسة سيد قطب: وهذه مدرسة معروفة مشهورة وسيد قطب -رحمه الله- لما له من أسلوب أخاذ في اللغة وقلم سيال يلامس المشاعر والأحاسيس وبما له من حسن بيان وجودة في التصوير استطاع أن يتغلغل في نفوس الشباب المسلم الحائر في تلك الفترة وأن يصف حال الأمة الإسلامية، ولكن في ثنايا هذا الكلام دس هذه الأمور التي بقيت إلى الآن متغلغلة في أذهان الشباب، وبالتالي كرس مبدأ العزلة الشعورية عن المجتمعات، فهم يعيشون في عزلة

عن المجتمعات؛ لأنهم ينظرون نظرة استعلاء على الغير وأنهم أصبحت لهم الأستاذية على العالم واحتكروا الحقيقة.

هذا الجيل الذي أنتجته كتابات سيد قطب، وهذا واضح من خلال مقدمته لكتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، والكتاب لأبي الحسن الندوي وهو كتاب قيم جاء في فترة كان يفتقر العالم الإسلامي لمثل هذه الكتابات فعلا على النحو الذي أشار إليه الشيخ الشحات قبل قليل، أن التاريخ الإسلامي المعاصر للأسف يُستقى من مصادر إخوانية وهذه في الغالب تحتاج إلى تنقيح، وتنقيح منهجي وعقائدي وتاريخي، وسأشير هنا إلى ثلاثة نقاط أعتقد أنها نقاط رئيسة مما كتبه سيد قطب -رحمه الله- في مقدمة كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

النقطة الأولى: -وأنا أذكر كلامه نصا-: يقول: «إن الإسلام عقيدة استعلاء، وإنها تشعر المسلمين بالتبعية الإنسانية الملقاة على كاهلهم تبعة الوصايا على البشرية في مشارق الأرض ومغاربها».

فالشاب ينشأ أنه وصي على البشرية كلها، والأمر الثاني: «وتبعة القيادة لهذه القطعان الضالة».

فإذن هذه وصايا ركزها سيد قطب -رحمه الله- في أذهان الشباب، أنك مسؤول عن هذه البشرية جميعا، ومن يقول إن المسلم مسؤول عن البشرية هذه جميعا؟ يخالف قوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾(البقرة:٦٨٢)، حيث أنه عندنا الفروض العينية والفروض الكفائية، وهذا التأصيل العلمي

يدحض مثل هذا الاعتقاد، الذي يجعل على كاهل الشباب تبعة البشرية جمعاء، وقيادة ما يسميه «القطعان الضالة».

النقطة الثانية: التي كرسها سيد قطب في أذهان الشباب، وهي أيضا لا تقل أهمية عن الأولى، حيث يقول: «وهو لا يستطيع -يعني الإسلام- أن يعمل إلا أن تكون له القيادة؛ لأنه بطبيعته -يعني الإسلام- عقيدة استعلاء ومنهج قيادة وشرعة اتباع لا ابتداع».

ومن هذا جاء الكلام الذي أشار إليه الشيخ الشحات قبل قليل وهو تثوير كل شيء، تثوير النصوص، والدعوة إلى الثورة، وجمع النصوص التي تأمر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون ضمها إلى بقية النصوص.

النقطة الثالثة: التي كرسها أيضا سيد قطب في كتاباته، يقول: «ومن خلال هذا الاستعراض -يعني الكلام الذي ذكره في المقدمة- يحس القارئ بمدى حاجة البشرية الملحة إلى تغيير القيادة الإنسانية».

فإذن هو يريد أن يغير القيادة الإنسانية، هذا الشعور الذي تملك أجيال من الشباب التي نشأت في تلك الفترة، طبعا فترة سيد قطب، وهي كما قلت فترة كان فيها المد العلماني يسيطر على الساحة، والمد الشيوعي الاشتراكي ينتشر على قدم وساق في العالم الإسلامي، وكان الشباب متحمسا بأن يقرأ، لكن للأسف هذه الكتابات هي التي كان لها النصيب الأوفر في مدرسة

الصحوة في مصر، ومعلوم أن مصر هي التي تملك التأثير على دول العالم الإسلامي.

ومن التحولات في فترة سيد قطب أيضا أنه أنشأ التنظيم الخاص، وهذا التنظيم هو الذي كان يملك زمام الأمور داخل جماعة الإخوان المسلمين، وجرت في تلك الفترة كتابات كثيرة يمكن أن ترجعوا إليها؛ ككتابات منير الغضبان، وكتابات الشيخ محمد الغزالي، كتابات المستشار سالم البهنساوي، كلها تؤيد هذا الاتجاه.

هذه مدرسة التنظيم الخاص، وكانت تتولى الفرع النسائي فيها زينب الغزالي -رحمها الله-، وهي التي قدمت صالح سرية لتقديم البيعة لمرشد الإخوان المسلمين في وقتها، ومعروف من هو صالح سرية وما الذي عمل في تلك الفترة.

وعليه فإن عقيدة العنف في فكر الإخوان المسلمين تأكدت بعد ١٩٤٠م وبعد مقتل البنا -رحمه الله-، وكذلك بعد إعدام سيد قطب -رحمه الله- سنة ١٩٦٦م، وفي عام ٦٥ برز اتجاهان داخل المدرسة القطبية نفسها؛ اتجاه يؤمن بالانفصال عن المجتمع وهو ما يسمى أو يعبر عنه بـ «العزلة الشعورية». واتجاه آخر يميل للناحية العلمية التنظيرية المنهجية أكثر.

وقد اعترف الدمرداش العقالي المحسوب من ضمن هذه المدرسة في كتاباته أن جماعة الإخوان تضم جناحين. جناح يعتبر معرض للجماعة، وجناح يعتبر ورشة للجماعة، الورشة هي

التنظيم السري وهو الذي برز الانشقاق اليوم بينه وبين مكتب الدعوة والإرشاد بصورة أوضح، وأدركت جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٦٥م تحديدا أن مسار العنف مغلق أمامهم، فصدر في هذه الفترة الكتاب المعروف المشهور: «دعاة لا قضاة» للمستشار الهضيبي، ولكن كما قلت التذبذب الفكري والمنهجي عند الجماعة واضح، وهذه كتابات منير الغضبان فيها إشارة وفيها تلميح عن حركة صالح سرية ومجموعة شكري مصطفى.

نأتي إلى المرحلة القريبة وما قدمه برنامج حزب الحرية والعدالة من تصور لمستقبل مصر، وفي تقديري وبعد قراءتي للبرنامج وجدت أن هذا البرنامج يتماهى[٨] مع كل البرامج الأخرى التي قدمت من قبل التيارات والأحزاب المناوئة للإسلام.

ومن هذا التماهي ما سمعنا عنه أو أن أكثركم قرأ أو سمع عن أكاديمية التغيير ومكانها بريطانيا وقطر، والإخوان المسلمون انخرطوا فيها على أمل أنهم يتبنوا أفكار التغيير بلا عنف، وحصلت لقاءات ومؤتمرات كثيرة وانخرطوا في هذا الاتجاه، وأنا في تقديري كان هذا من التحولات التي دخلت في جسد جماعة الإخوان المسلمين، ومن التحولات أيضا التي ما وفقت فيها الجماعة -خاصة بعد تسلمهم الحكم- أنهم تعاملوا مع مؤسسات المجتمع المدني على أنها منصات للصعود السياسي والكسب الجماهيري، ونسوا مبدأ الدعوة والإرشاد والنصح.

(٨) التوحد أو التقمص أو المحاكاة اللاشعورية

هناك تحولات كثيرة في منهج جماعة الإخوان المسلمين في السودان، طبعا تعرفون أن جماعة الإخوان اهتمت الجانب السياسي في عملها، ولهم تجارب في كل الدول الإسلامية، ولهم جهود لكن للأسف النتائج المتحصلة من هذه التجارب نتائج متواضعة -في تقديري- والأسباب كثيرة لن أخوض فيها على الرغم من كثرة الجهود التي بذلوها إلى غير ذلك من الانحرافات التي كانت هي من بنيات الطريق، الانخراط في العمل السياسي.

أتصور إلى اليوم على حد علمي لا يوجد مراجعة لمنهج الجماعة، ومحاسبة دقيقة لتكرار الأخطاء، والجماعة على نفس الطريق وعلى نفس المنهج والذي سيتغير هو التكتيك المرحلي وليس التغيير المنهجي في فكر جماعة الإخوان المسلمين، لكن الخسارة التي مني فيها العالم الإسلامي خسارة كبيرة -ونحن نقول هذا من باب الإنصاف- على الأقل؛ لأن جماعة الإخوان المسلمين كانت تسد فراغا وكانت تصل إلى مواقع لم يصلها السلفيون.

ومن هذا -والشيء بالشيء يذكر- ما ذكره العلامة الألباني -رحمه الله- في معرض حديثه عن الإخوان المسلمين وكان معرض الحديث عن ثناء على الإخوان المسلمين وجهودهم، وقال: بالنسبة لي أنا شخصيا -هذا كلام الشيخ الألباني- أنا استفدت كثيراً من مجلة المجتمع التي تصدر في الكويت كانت تصلني بصورة دورية وكنت أطلع على أحوال العالم الإسلامي التي ما كنت أعرفها.

فهذا من باب الإنصاف ومن باب العدل وإن كنا نختلف معهم

إلا أن الأمة الإسلامية خسرت كثيراً بسقوط مشروع الإخوان المسلمين، وأصبح هناك فراغ كبير على مستوى العالم الإسلامي، وهذا يضاعف التحديات أمام الدعوة السلفية كدعوة، وأنه يجب أن يكون السلفيون على مستوى هذه التحديات وأن يقدموا ما يستطيعون لسد هذا الفراغ.

الأمة الإسلامية اليوم أمة حيراء، والشباب المسلم لديه طاقات كثيرة ولكنها غير موجهة، وللأسف إذا وجهت توجيها غير سديد وغير سليم، ستضيع هذه الطاقات، والعالم الإسلامي الآن يتوق إلى توجيه ولكن التوجيه المطلوب ليس أن نتعامل مع الواقع بردود فعل تلقائية بل علينا أن نكون بحجم المسؤولية وأن يكون توجيهنا مبنيا على تأصيل شرعي صحيح، الذي يظن أنه يمكن بمتابعة أحوال العالم الإسلامي من خلال وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة فقط مخطئ؛ لأن هذا نظر قاصر، وهذا لا يمكن أن يأخذ الحقيقة كاملة كما أنه لن يفهم الواقع ولن يفهم المستقبل، وأعني الذي يقتصر على وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة ويتغلغل فيها؛ لأن هذا الإيغال فيها سيضعك في إطار لن تستطيع أن تخرج منه، والتأصيل الصحيح للواقع وللمستقبل هو من خلال نصوص الكتاب والسنة، ونحن نمتلك بحمد الله وتوفيقه كنوزا وذخائر إلى الآن لم تستغل، ويجب أن نستغلها بصورة أفضل بعيدة عن ردود الفعل والعواطف الجياشة.

ومع الأسف الشديد وأؤكد لكم في ختام حديثي أن المنخرطين في العمل السياسي الإسلامي هم على جهل كبير بالتأصيل

الشرعي في كل القضايا وأنا أتحدى كل من يتكلم في النوازل أو في السياسة الشرعية أن يأتي بمسألة حديثة واقعة ليس لها أصل في التراث الإسلامي، وكلام أهل العلم موجود، وكما يقال: إن السابقين لم يتركوا للاحقين شيئا. فلماذا الاجتهاد إذن؟ ولماذا الانفراد؟ ولماذا نجد ردود الأفعال المتشنجة والحلول القاصرة؟، فلنرجع إلى تراث الأمة وإلى علم سلف الأمة حتما سنجد الحل لهذا الواقع الذي نعيشه اليوم.

وأختم بقول النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله وسنتي».[٩] والحمد لله رب العالمين.

عريف الندوة: لا يوجد أي تحول فكري ولا منهجي في جماعة الإخوان المسلمين. هو خلاصة ما أتى إليه وعليه فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن الجيران عضو مجلس الأمة الكويتي. نشكر فضيلته على هذه الكلمة، التي أعطتنا خلاصة فكر ومنهج واستقراء للحالة الإخوانية التي مضى عليها الزمن.

(٩) أخرجه مالك مرسلا والحاكم مسندا وصححه الألباني

جوانب الفشل في فكر الإخوان المسلمين وما هو الفكر السروري؟

ثانياً: الشيخ الدكتور خالد سلطان السلطان

نحمده سبحانه وتعالى حمدا كثيراً طيبا مباركا فيه كما أمر وأشكره على نعمائه ولقد تأذن بزيادة لمن شكر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً، أما بعد.

في البداية أشكر الإخوة القائمين على مركز ابن خلدون في تنظيم هذا الملتقى وهذه الورش التي تتكلم في قضايا نهوض الأمة، وفي الحقيقة التحدث في الجانب الحضاري للأمة ومحاولة القيام بها من جديد بعودة هذه الأمة إلى ما كان عليه سلف الأمة -رحمة الله تعالى عليهم ورضوان الله تعالى عليهم- هو أمر يعتبر من الأمور الهامة.

وأما الورقة التي أريد أن أتكلم عنها هي: جوانب الفشل في فكر الإخوان المسلمين، ويكون الحديث في هذا الجانب موضوعي

وتحليلي ولن يكون عطفياً[١٠] وشخصيا، والنقد هو من باب النصيحة التي نوجهها أولا للأمة وثانيا لجماعة الإخوان، محاولة منا في مساهمة إعطاءهم فرصة بأن تعيد الجماعة النظر -إن كانت صادقة مع نفسها- وأن تراجع ما هي عليه من معتقد ومن منهج؛ لأن جوانب الفشل الكثيرة التي حدثت من آثار فكر الإخوان المسلمين على أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- هي واضحة وكبيرة لو كانوا يعقلون.

حتى أستغل الوقت أذكر بعضاً من أسباب الفشل الفكري في جماعة الإخوان المسلمين التي أوصلتهم إلى هذا الواقع الأليم.

السبب الأول: اعتقاد الجماعة بأنهم هم الجماعة الأم الواجب على الجميع الالتحاق بها. وبهذا يكونون قد عقدوا لواء الولاء والبراء على هذه الجماعة، فمن كان من هذه الجماعة فهو الذي يعتبر المسلم الحق ومن كان من غير الجماعة ففي إسلامه نظر!.

ومن يتأمل ما قاله سعيد حوى يجد تأكيدا لهذا المعنى حيث يقول: «ونعتقد أنه لا جماعة كاملة للمسلمين إلا بفكر الأستاذ حسن البنا وبنظرياته وتوجيهاته التي من جملتها الحب لكل العاملين المخلصين»، والعاملون المخلصون هم الذين ينتسبون لهذه الجماعة، أما من لم ينتسب لهذه الجماعة فليس له من الحب وليس هو من المخلصين لهذه الأمة.

---

(١٠) يقال: في الطريق عطفٌ: اعوجاج وميل

ونشأ من هذا الأصل الذي بنوه في هذا الاعتقاد الخطأ سببا آخر وهو:

السبب الثاني: الذهاب إلى التحزب المذموم لهذه الجماعة، والتقليد الأعمى لجماعتهم، وكما نعرف بأن التحزب للجماعات أو للفرق إنما هو أمر مذموم في شريعة الله -عز وجل- فالأصل عندنا في الشرع أن الأمة أمة واحدة، وأنها جماعة واحدة لا جماعات، ويجب عليها أن تعتصم بكتاب الله -عز وجل- وبسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وليس لأحد أن ينشئ جماعة ويدعو إلى التحزب لها إنما التحزب هو للدين والإسلام.

يقول الشيخ ابن عثيمين -رحمة الله تعالى عليه-: «ولا شك أن هذه الأحزاب تنافي ما أمر الله به، بل ما حث الله عليه في قوله: ﴿وأن هذه أمتكم أمة وحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ (المؤمنون:٢٥).

فالعمل الحزبي لدى الإخوان المسلمين كان سبباً لخروج هذه الأحزاب الأخرى المتصارعة، وكلها متولدة أو غالبها من الحزب الأول مما جعل الأمة تتمزق أكثر فأكثر.

السبب الثالث: عقد بيعة لجماعة الإخوان وهو الأمر المذموم في شرع الله -عز وجل- ودينه فلا بيعة في الأصل إلا للإمام القائم في البلد والمصر وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة، فإذا كان هناك خليفة للمسلمين فهو الذي له بيعة وأما الأحزاب والفرق والجماعات لا يجوز لها أن تعقد البيعة على بيعة الإمام الذي استقر له الأمر.

السبب الرابع: تنظيم دولة داخل دولة وخاصة الجانب العسكري، والذي يتأمل كلام بعضهم يبين أن الجماعة تؤمن بأن يكون لها أكثر من جناح؛ عندها جناح سياسي، وجناح ديني، وجناح عسكري. ولعلي في جلسة من الجلسات مع نواب الكتلة الإسلامية في مجلس الأمة الكويتي في بيت أحد النواب في كيفان، عندما قدمنا مقترح في قضية تجريم الشرك في الكويت وكان الطرف الآخر من الإخوان المسلمين، فعندما تكلمنا وتكلم الإخوة عن خطورة الأمر وصيانة لتوحيد الله -عز وجل- والتحذير من الشرك، فتكلم الجانب الإخواني طبعا وقالوا: لا بد أن نطرح هذا الأمر على الجناح الديني وهو الجناح المسؤول عن الأمور الشرعية ثم بعد ذلك نقرر هل نقف مع هذا المشرع أم لا.

أقول سبحان الله الحوادث سواء الواقعية أو النظرية كلها تؤيد وتبين أن الإخوان إنما يقومون بعملية تنظيم دولة في داخل الدولة وهذا في الحقيقة من أشد الأمور، معناها أن كل ما تقوم به الدولة من أعمال وقوانين وما تنظمه لهم شيء آخر يخالف هذا تماما.

السبب الخامس: هو جمع المسلمين بما لا يجتمعون عليه، حيث إن عندهم أكبر قضيتين وهما، تبني كل المناهج العقدية بلا استثناء، وحتى لو قلتم: الجهمية، سأقول لكم: حتى الفكر الجهمي، وهذا أيضا موجود كما ذكره سيد قطب في كتابه في ظلال القرآن.

ويؤكد هذا الأمر ما قال به حسن البنا -رحمة الله عليه- حيث

قال: «وتستطيع القول -ولا حرج عليك-: أن الإخوان المسلمين دعوة سلفية، طريقة سنية، حقيقة صوفية».

وكذلك يقول سعيد حوى: «وسلمت الأمة في قضايا العقائد لاثنين؛ أبو الحسن الأشعري، وأبو منصور الماتريدي.

وبالطبع لقد علقت على كلمة حسن البنا بعد الاستطلاع والنظر في الواقع العقائدي والفكري عند الإخوان، قلت: وتستطيع القول -ولا حرج عليك- أن الإخوان المسلمين دعوة خلفية، وطريقة بدعية، وحقيقة صوفية، وهذا في الحقيقة الذي نعتقده من باب الإنصاف، وأما الكلام أنها دعوة سلفية ما هي من السلفية في شيء ولا يقتربون من السلفية إلا في بعض المسميات التي يدعونها.

الجانب الآخر عند الإخوان المسلمين هو جواز التمذهب والدعوة إليه، فهم بهذا قد صادموا سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول حسن البنا رحمه الله: «ذلك منهاج الإخوان المسلمين أمام مخالفيهم في المسائل الفرعية في دين الله، ويمكن أن أجمله لكم في أن الإخوان يجيزون الخلاف، ويكرهون التعصب للرأي، ويحاولون الوصول إلى الحق ويحملون الناس على ذلك بألطف وسائل اللين والحب».

شرح مثل ذلك عمليا سعيد حوى بقوله: «ولقد سلمت الأمة خلال عصورها لكثيرين بأنهم وصلوا إلى رتبة الاجتهاد، وخصت

منهم بالاعتماد أربعة، أبو حنيفة والشافعي وأحمد ومالك في قضايا الفقه العملي»، ثم قال: «وأنه لا اطمئنان في شأن الفتوى إلا على مذهب من المذاهب الأربعة لأن قواعدها وأصولها وفروعها كلها محفوظة منقولة».

ويقول السيوطي -رحمة الله تعالى عليه- «إن المقلد لا يسمى عالما»، وبذلك نعرف لماذا قال الشيخ الألباني: جماعة الإخوان عبر تاريخهم المديد والطويل ونزولهم إلى الساحة الدعوية، لم يخرجوا للأمة عالما، وإذا أردت أن تذكر علماء الأمة لن تجد للإخوان طريقا أو نصيبا في العلم.

وما ذكرته من أسباب سابقة هي من خلال إستقرائي لما كتبوه ولما نقلوه بأنفسهم عن أنفسهم وعن معتقدهم ومنهجهم، يتضح لنا أن جوانب الفشل الكبيرة نتجت عندما اعتقدوا هذا الاعتقاد، وأخذوا بهذا الفكر، وساروا عليه وألزموا الأمة به؛ خرج لنا ما خرج في الحقيقة في هذه الأمة مما نراه من صراعات من تكاثر الجماعات، من كثير ممن تولد من هذه الجماعة جماعة الإخوان المسلمين، ولعل آخر من تكلم في نسبة ما تقوم به ما يسمى بدولة الإسلام أو بداعش إنما هي بقيادة من كان أحد أبناء هذه الجماعة كما قال الدكتور القرضاوي -هدانا الله وإياه-.

الجوانب الفكرية للحركة القطبية والسرورية

وأقول في الغالب دائماً النسبة تكون مرجعها لمن أسس وأنشأ الجماعة أو لمن يتبعونه سواء برضاه أو من غير رضاه، مثل الأشاعرة يُنسبون إلى أبي الحسن الأشعري، وهو بريء مما ينسبونه إليه -رحمة الله تعالى عليه-؛ لأنه قد تاب إلى الله جل وعلا ورجع إلى المنهج الحق.

والقطبية إذا قلنا قطبيين فهم أتباع سيد قطب وقد أخذوا بأفكاره والدعوة إليها. وأكثر من ينتسب اليوم للقطبية من الجيل المعاصر ما عاصروا أساسا سيد قطب، وإنما أخذوا من كتبه وأفكاره المطروحة في كتبه وتبنوها عمليا.

وأما السرورية فهي نسبة لمحمد سرور زين العابدين، وهو المترجم المعاصر لفكر سيد قطب بمؤلفاته الكثيرة، فمن أبرز الكتب التي أظهرت هذا الفكر كتاب سيد قطب «معالم في الطريق»، وهو كتاب مَلِيء بالتشاؤم فيما يخص الأمة، واليأس من رجوع الأمة لما كانت عليه من قبل، فمن يحمل هذه الأفكار أو هذا التشاؤم يكون عنده الفكر الذي ذكره الدكتور عبد الرحمن الجيران قبل قليل هو قضية تثوير الأدلة والنصوص والدعوة إلى الثورة بكل ما تعني هذه الكلمة، بل دعا صراحة إلى ما دعا إليه الخوارج من قبل وهي: قضية الحاكمية والتنبيه بالحكم لله، حتى

خرج من خرج ممن تأثر بهذا الفكر وقال بأن هناك توحيد رابع وهو توحيد الحاكمية.

وهل القطبية والسرورية جماعة مستقلة أم هي فرع لجماعات أو لجماعة أخرى؟

إن من يتتبع نسبة «القطبية - السرورية» سيجد أنها جزء وفرع من جماعة الإخوان المسلمين وكذلك من ينظر إلى المصادر التي يعتمد عليها هؤلاء في أطروحاتهم سيجد بأنها هي أطروحة الإخوان المسلمين ولكن بجانب أو بشق آخر.

ومن يقرأ ويستمع لأشرطة القطبيين والسروريين يجد دائماً قضية الثناء العاطر لجماعة الإخوان ومحاولة عدم نقضهم في أي حال من الأحوال، حيث إنهم دائماً يهتمون بإبراز جهود الإخوان المسلمين الدعوية والعملية، سواء كانت إغاثية أو إنسانية أو غير ذلك.

ونؤكد هنا أن المنهج الفكري الذي يحملونه آيل للسقوط إن عاجلاً أو آجلاً؛ لأنه ليس دين الله -عز وجل- وليس هو منهج الحق الذي دعانا إليه محمد -صلى الله عليه وسلم- وأصحاب النبي -عليه الصلاة والسلام-.

والظاهر أن السرورية والقطبية إنما هما فرعان مهمان. بل أقول هما جزء من تنظيم جماعة الإخوان المسلمين من قريب أو من بعيد، ومن أبرز صفات القطبيين أو السروريين ما يلي:

أولاً: انتهاجهم للمنهج السلفي في باب التوحيد لذلك تجد لهم

دورا واضحا في نقد الفرق وليس الجماعات، الفرق الإسلامية القديمة كالخوارج والأشاعرة والمعتزلة ولكن لاحظ معي النقد في باب القول وليس في باب العمل، لم؟؛ لأنهم أساسا في العمل يوافقونهم في كثير من الجوانب ولاسيما في جانب الخروج والوسائل كما سأبين.

ثانياً: التزام الكثير منهم بالمظهر السلفي سواء كان في اللحية أو في الإزار أو في الشكل والمظهر العام، ولكن بعد انكشاف أمرهم، ودخول الناس في عالم ثورات الربيع خاصة في السنوات الأخيرة حتى الشكل الخارجي قد تغير وأصبح هو الآن النسخة الصحيحة الأصلية التي هي نسخة الإخوان المسلمين في أشكالهم وفي هيئاتهم.

ثالثاً: إكثارهم في النقل عن أئمة السلف وخاصة شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ويتميزون في بتر النصوص وقطعها فيما يخدم منهجهم، ولو استكمل الواحد منهم باقي النصوص لتجد فيه الرد على ما هم عليه، ولكن دائماً يستقطعون كما يقال النصوص التي تخدم ما يريدون من منهج.

أهم ما يحمله القطبيون والسروريون من أفكار:

أولاً: تكوين الجماعات المسلمة في المرحلة الأولى، واعتبارها البديل عن دولة الإسلام. ليست الجماعة، الجماعات، هم يؤمنون بتكوين الجماعات، وكذلك يعتبرون بأن أفراد هذه الجماعات هم جيوش الإسلام التي ستقوم الدولة الإسلامية عليهم، والتي

ستقوم بعد ذلك بتنصيب الإمام من هذه الجماعات، ويعتقدون أن جماعة المسلمين اليوم غير موجودة، وأن ما يقوم به اليوم من حكام وغيره ليس له حقيقة واقعية ولا قبول، والمنهج الذي يبطنون في هذا الأمر هو المنهج التكفيري لحكام المسلمين.

ثانياً: اعتقادهم بجاهلية المجتمعات المسلمة، وأن إدارات الدول الإسلامية إنما هي إدارة جاهلية، دائماً لفظ الجاهلي يعبرون كما يعبر عنه سيد قطب.

ثالثاً: ادعاؤهم لدعوة العدل والإنصاف، وهذه لهم دائماً في كتبهم في النقد، عندما يتكلمون عليه دائماً يتكلمون عن قضية العدل والإنصاف، ماذا يقصدون به؟ يقصدون به إدخال جميع الجماعات تحت راية واحدة، وجماعة واحدة تسمى جماعة أهل السنة والجماعة. ولاحظ معي دائماً يعرضون مع سبق الإصرار والترصد عن قول السلفية، فالسلفية ليست لها محل لا في الاصطلاح عندهم ولا في الدعوة إليها؛ لأن السلفية هي التي ستفضح كل إنسان له دعوة، ولكي يجمعوا كل هذه الجماعات وتكون تحت راية واحدة، وكما نعرف هم لهم طريق في القيادة هم يريدون أن ينافسوا أيضا الجماعة الأم «الإخوان» في قضية قيادة الأمة، وإن كانوا متفقين في كثير من الأفكار، وطبعاً ادعاؤهم الإنصاف هنا من باب انهم يجمعون كل الجماعات في بوتقة واحدة وفي مكان واحد.

رابعاً: اعتقادهم أنهم أصحاب فقه الواقع والقصد هو اتهام علماء الدعوة السلفية بالجمود والجهل والانعزال.

خامساً: وأيضا كذلك دعوتهم للتثبت ويقصدون به أن ما ينقل عن الدعاة أو الجماعات يجب أن تتثبت منه، وهذا صحيح أمر واجب، ولكن يريدون أن يصلوا إلى حقيقة ثانية وهي: أنه لا يجوز لك أن تنتقد الجماعات لما هم عليه من أعمال اليوم أمام العلمانيين واليساريين والليبراليين والديمقراطيين والملحدين إلى غيرهم، فكيف توجه نقدك إلى مثل هذه الجماعات؟! ويريدون بذلك أن يحموا الدعاة الذين ينتسبون لجماعتهم وكذلك حماية الجماعات التي يعملون معها بالإضافة إلى أن تكون هي حجة لتحقيق مصالحهم ودرء المفاسد عن هذه الجماعات.

سادساً: وضعوا ضوابط في قضية النقد ومنها: أن النقد عندهم على أساس نصوص الجماعة وأنظمتها لا على قول المنتسبين لها، وليس لنا دخل بالأشخاص ولكن انتقد الجماعة وما هي قواعدها، وأصولها؟، وإذا كان هذا أخطأ في كلامه لا تنسبه للجماعة علما بأنهم لا ينتقدون أحداً من أتباعهم أو من مفكريهم أو من مشايخهم مهما أخطأ ولو بلغ حتى كلامه إلى درجة الكفر، إلا ما رحم ربي -سبحانه وتعالى- وقد تجد بعض التلميحات على استحياء وليس تصريحا بالنقد.

سابعاً: يعتقدون بوجوب فقه الموازنات، وأنه لا يجوز لك أن تنتقد إلا بعد أن تذكر المحاسن، ولهذا دائماً يقولون يا أخي اذكر في الأول الأشياء الحسنة التي فعلناها، ثم بعد ذلك تأتي بالنقد الذي تريد أن تنقده، ويريدون بذلك إلزام الناقد بذكر التاريخ لأي جماعة ولأي فرقة من هذه الفرق وأن تذكر ما لهم من حسنات

وأعمالهم، علما بأن كل الحسنات والأعمال التي تقوم بها هذه الفرق هي آيلة للسقوط، لأنها لم تبن أساساً على حق ومثلهم كمثل من بنى بنياناً ولكنه على غير أساس، فإنه على شفا هاوية وأنه يسقط.

ثامناً: يرون بمساواة الجماعة السلفية بغيرها، وإذا قلت أنت: أنا سلفي إذاً: أنت حزبي. بل قال أحدهم وهو الدكتور عائض القرني: ويستتاب من يقول أنا سلفي ويقام عليه الحد. لم؟ لأن هذا يفتح بابا إلى التحزب. علماً بأنك إذا قلت أنا سلفي إذاً أنت لا بد أن ترضى بقول هذا أنا تبليغي، وهذا أنا إخواني، وهذا أنا قطبي. إذاً إما تسكتون عن الجميع وإما توافقون على ما أنتم عليه، سبحان الله، ونحن دائماً نؤكد أن السلفية هي المنهج الحق الذي لا ينبغي الخوف من التسمي به كما قال الشيخ الألباني: «فإذا رضيت الجماعات بأنها ترجع وتتنازل عن قولها نحن من الإخوان ونحن من التبليغ ونحن من كذا وكذا، قال: فنحن لا نرضى أن ننسلخ من نسبتنا إلى السلفية لأن هذا هو الحق وهو دين الله -عز وجل- المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-».

خلاصة القول في فكر القطبية وللسرورية:

- القطبيون بأفكارهم هم أخطر على الأمة من جماعة الأم وجماعة الإخوان لأنهم يلبسون ثوبين، ثوب سلفي من حيث ما يذكرونه من منهج عقدي في القول، ويلبسون ثوب الإخوان في المنهج العملي.

- السرورية تتبنى الفكر التكفيري والذي دعا إليه سيد قطب، ولكن كما يقال بتغليف للواقع الموجود الآن ومحاولة إظهار ما في الدول وما يصدر من الحكام والحكومات من الأمور حتى يأججوا الناس ويدعونهم إلى الخروج.
- القطبيون خوارج في منهجهم الدعوي والحركي وإن تظاهروا بالإنكار على الفكر الخارجي من حيث المعتقد. هم على الصحيح لا يوافقونهم في كل شيء ولكن لهم جانب موافق خاصة في الأمور العملية.
- استعداء القطبيين للجماعات ضد الدعوة السلفية النقية، بل أوجدوا حواجز بين هذه الجماعات وبين علماء الدعوة السلفية حتى لا يستفيدوا من علماء السلف الذين ينصحون هذه الأمة، ويريدون منها الرجوع إلى الحق.

ومن هذا المنطلق أقول أن الدول الإسلامية مليئة والكويت أيضا ليست بمعزل من وجود من يحمل هذا اللواء ولعل بعضهم قد تستر عن دخوله أو انتسابه لهذه الجماعة ولكن نقول: سبحان الله إن الله -جل وعلا- جعل الفتن هي كواشف لما في القلوب. وقد أظهر لنا خلال الأيام الماضية كل من كان يتخفى تحت ثوب السلفية حيث ظهر هذا بتويتر وهذا بأنستجرام، وهذا بمقالاته وهذا بفتواه، وهذا عبر مواقع، ظهرت حقيقتهم أمام ثورات الربيع وإن كان في الحقيقة الذي حصل جهل ولكن -سبحان الله- كما يقال: كل محنة ورائها منحة. ولعل من المنح أن الله -عز وجل- أظهر لنا من كنا نظن بأنه على السلفية، وأنه من أتباع الدعوة

السلفية، وسلمناه أبناءنا وقدمناه في الخطبة والدرس ولكن الحمد لله الذي أظهر لنا ذلك كله.

فختاما أقول: نقدم هذه الورقة في الحقيقة من باب النصح لهذه الأمة، وننصح أنفسنا أولا وأخيرا. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم للخير. والحمد لله رب العالمين.

النقاش والتعقيب:

منهج الإخوان المسلمين خليط من عقائد وفرق إسلامية شتى وكذلك خليط من الأفكار السياسية، يرونها مزية ويرونها ممدوحة لهم ونراها مذمة، هذا ما أضافه فضيلة الشيخ خالد السلطان السلطان في هذه الورشة مشكورا، وكذلك أضاف تجلية واضحة لأهم أركان وفكر المنهج السروري، نشكر فضيلة الدكتور خالد سلطان السلطان، وكذلك الشكر موصول لفضيلة الشيخ عبد الرحمن الجيران.

نفتح الآن المجال للأسئلة والاستفسارات أو التعليق كذلك.

سائل: سؤالي للدكتور عبد الرحمن جزاه الله خير، في مسألة الأصل الأول الذي ذكره في مسألة الاستعلاء، هل ذكر سيد قطب هذا من باب المدح أم القدح، والخلل في مسألة الاستعلاء، هل يخالف الآية ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون﴾ (آل عمران:١٣٩)؟ هل قصد ما يعتقده المسلم أم أراد به شيئا آخر؟

د. الجيران: واضح من كلام سيد قطب -رحمه الله- الذي يقرأ

السياق والسباق أنه يعني هذا. تحديدا أن الإسلام لا يستطيع أن يعمل إلا أن تكون له القيادة، من غير قيادة لا يمكن أن يعمل الإنسان، فمعنى هذا أننا إلى الآن نعيش في استثناء، ونعيش في فقه المحنة وليس فقه التمكين. وهذا يجعل المسلم في شعور دائم بالنقص وشعور بالذنب، من قال أن المسلم يجب عليه أن يقود العالم؟ ديننا هو آخر رسالة أرسلها الله -عز وجل- للبشر، والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله» (رواه البخاري ومسلم).

هذا ما استقر عليه منهج أهل السنة والجماعة. لكن كيف ومتى ومَن؟، نترك الأمور هذه للفوضى كما هو حاصل اليوم أم نترك تفسيرها لكل من هب ودب؟ الجواب هو: لا يكون هذا، ولا يمكن للعقيدة أن تمكن إلا على منهج الأنبياء والرسل في التمكين، ولا يشترط أن تحكم أنت، كثير من الأنبياء والرسل ما حكموا لكن أنت تسعى في الطريق ولا تتجاوز الجادة؛ لأن سلامة الطريق أهم من الوصول، وسلامة الطريق والمنهج أهم من الوصول.

فإذا أنت بذلت الجهد ثم اخترمك الأجل فأنت غير مؤاخذ وستلقى الله -عز وجل- على إسلام كامل؛ لأنه ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ (البقرة:٢٨٦). لكن أن نحمل الناس وزر البشرية كلها والدعاة منهم وأنهم يجب عليهم أن يحكموا بما أنزل الله، نقول نعم يجب عليهم أن يحكموا بما أنزل الله وهذا سهل ميسر أن تحكم هذا في أهلك وفي بيتك وفي محيط أسرتك، لأن «ومن

لم يحكم بما أنزل الله» هذه ليس مخاطب بها الحكام وحدهم، بل المخاطب بها الجميع كل بما يستطيع. فأنت مخاطب بهذه الآية أيضا، فإذا مقصود سيد -رحمه الله- في هذه الكلمة نضم إليه كل كلامه في كتبه حتى نفهم ما الذي يقصده وماذا أثمر؛ لأن الشيخ ناصر الدين الألباني يقول: «من ثمارهم تعرفونهم». كلامه هذا الذي أصله ماذا أثمر؟ أثمر هذه التنظيمات وهذه الفوضى. فإذا هم فهموا هذا، فهموا أنهم يحتكرون أستاذية العالم وهم يملكون الحق في التكلم باسم المسلمين أما غيرهم ما يملك هذا الحق، فكانت هذه النتيجة وهذه النظرة، نظرة الاستعلاء على الجميع. ويمكن أن ننظر إلى تجربة مصر وأقرب الناس إليهم كان السلفيون كما يفترض، انظر كيف تعاملوا معهم! هذا يؤكد عقيدة الاستعلاء عندهم، وأنهم ينطلقون من حزبية مقيتة.

الشيخ عبد المنعم الشحات: أنا أضيف بالفعل أن مشكلة الاستعلاء لدى سيد قطب هي بدأت عن حسن البنا، ونستطيع فهم ذلك من واقع محاولة فهم الخلاف الضخم جدا لدى أقطاب الإخوان أنفسهم، الذي يدور على هذا التساؤل، «هل سيد قطب كان على خطى البنا أم شيئا آخر؟» والذي يبدو لي -والله أعلم- أن حسن البنا كان له مرحلتان في حياته؛ مرحلة من بداية التأسيس إلى ما قبل المؤتمر الخامس، التي هي مرحلة الثلاثينات كلها، المؤتمر الخامس كان ٣٨ أو ٣٩ وهذه كانت لديه دعوة إصلاحية متصالحة مع المجتمع متعاونة مع الحكام، بل ربما كان حزب الوفد وغيره ينتقدون عليه درجة التعاون أو التصالح مع الحكام

بدرجة تبلغ حد الإسراف في الثناء.

من المؤتمر الخامس فصاعدا بدأنا نجد عند الأستاذ حسن البنا -رحمه الله- بذور أن كل حاكم لا بد أن يكون ظالما وإن لم يصل إلى تكفيره، التي بعد ذلك نظرها سيد قطب، بذور الاستعلاء على المجتمع كما سأل السائل، الأزمة أنه بدأ يتكلم على الإخوان، إسلامهم ليس كإسلام غيرهم، أن لا أتكلم على استعلاء الإسلام على الكفر، بدأ يقول أن إسلام الإخوان شامل وإسلام غيرهم إسلام قشري... والأخطر أن الإخوان يعتقدون أن إيمانهم جذوة مشتعلة في قلوبهم، وإيمان غيرهم جثة هامدة، في الواقع هذا يساوي تكفير حتى لو لم يقل أنه كافر، في النهاية صار مبالغة في مدح الذات ومبالغة في احتقار الآخر تساوي أن دم الآخر ليس له قيمة، وهذا ما حدث، كحوادث الاغتيال، القاضي الخازندار لماذا اغتالوه؟ لأنه كأن متوقعا أن يصدر حكما عنيفا في قضية متهم فيها أفراد من الإخوان. طيب هل كفروه؟ هم لم يكفره، والكلام المثبت أنهم لم يكفروه، لكن هو عندهم مجموعة من الناس الذين إسلامهم نقي وإيمانهم جذوة في قلوبهم ومجموعة من الآخرين سيحكم عليه حكما بالإعدام، إذا القياس وفق هذا أنه يبدأ ويقتل الآخر حتى قبل أن يصدر هو الحكم. فصار هنا الاستعلاء الذي نقله سيد قطب نقله أخرى.

إذن الحاصل أن حسن البنا في الأربعينات وضع بذور فكر سيد قطب، لكن سيد قطب جاء له رافد آخر غير فكر حسن البنا في الأربعينات وهو كتابات أبي الأعلى المودودي. وهذا ما

جعلها تنقل من أن حسن البنا عنده بذور إلى أنها أصبحت عند سيد قطب جذور أو بداية نبتة؛ لأنه بدأ يرسخ فكرة أن إيمان العوام جثة هامدة في قلوبهم وإسلامهم قشري، وبدأ يقول إنهم لا يعرفون الإسلام أصلا، ولا يعرفون ماذا يعني إسلام؟ ولا ماذا يعني رب؟ ولا إله؟ ولا ماذا تعني عبادة؟. وهذا ما جاء في المصطلحات الأربعة في القرآن لأبي الأعلى المودودي. فبدأ هنا يتجه إلى التكفير.

وأن سيد قطب عمل حيلة قد تبدو أنها أقل تطرفا وانحرافاً من حسن البنا أنه لم يقل: جماعة بعينها أن إيمانها أعلى من إيمان غيرها، لكن بدأ يتحدث عن إيمان الصحابة، وهذا كلام ممكن يمر عند السلفيين وهذه مسألة لا بد أن نأخذ بالنا منها، ثم يسقطها على الفئة المؤمنة وهي تنظيمه الخاص.

في النهاية الإخوان فعلاً يتوارثون استعلاء لجماعتهم إلى الآن، وليس استعلاء بالحق الذي معه تواضع صاحب حق، وهو أعلى صاحب حق من البشر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في يوم فتح مكة يدخل مكة مطأطئ الرأس هو ليس عنده هذه هو صار التوحد بينه وبين الفكرة هو صاحبها وهو الذي يستعلي بها لدرجة أن لا يخجل شخص مثل الأستاذ سعيد حوى أن يبحث هل الإخوان هم جماعة المسلمين أم جماعة من المسلمين؟ وفي الآخر يقول نتنازل ونقول أنها جماعة من المسلمين لكنها أكمل وأتم وأولى وأفضل جماعة. بما يعني أنه يريد أن يقول الإجابة الأولى لكنه قال الثانية ثم أضاف إليها كل هذه الاحترازات.

خلاصة هذا أنه يرى أن هذه الجماعة فهمها هو الفهم الصحيح للإسلام، وعندما تسأل الشخص الإخواني اشرح لي الفهم الصحيح للإسلام. يقول: إسلام الإخوان، وإذا سألت اشرح لي يمكن أن آخذه من غير اسم الإخوان. يقول: لا، لا يصح أخذه إلا وعليه اسم الإخوان... فهنا صار استعلاء الجماعة وأفرادها على إخوانهم الدعاة فضلا عن عوام المسلمين وحكامهم، ويكتمون هذا الأمر أحيانا لضغوط سياسية ثم يظهر إذا تمكنوا، فتكون هذه الكارثة أنه يظهر الإسلاميون -مع الاحتراز- يتحايلون ويتحينون الفرصة ويظهرون خلاف ما يبطنون إلى غير ذلك. فصار فعلا وهذا أخطر شيء يمكن أن نستفيده من تاريخ وتحولات جماعة الإخوان.

مقدم الندوة: جزاك الله خير الشيخ عبد المنعم الشحات، ومن سبقه من إخوة في تعليقاتهم. والشكر موصول للدكتور عبد الرحمن الجيران، والدكتور خالد السلطان ونشكر الجميع على حسن الاستماع وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحور الخامس

فشل الأحزاب والحركات والتنظيمات السياسية العربية في النهوض بالأمة

إعداد المهندس/ سالم أحمد الناشي

اهداء

اتقدم بالشكر الجزيل لمركز ابن خلدون للدراسات الاستراتيجية على دعوتي للمشاركة في الحلقة النقاشية حول مُعَوقات النهوض بالأمة في ظل مستجدات الربيع العربي (ورشة عمل).

كما اتقدم بالشكر للأخ د. وائل الحساوي رئيس المركز على جهوده في الإشراف على هذه الحلقة النقاشية، ودعوته كوكبة من العاملين في الحقل الدعوي والسياسي للمشاركة، واثراء الموضوعات التي تطرقت لأهم المعوقات التي واجهت الأمة في طريق نهضتها وعزتها.

واتمنى أن تسهم ورقتي حول (فشل الأحزاب والحركات والتنظيمات السياسية العربية في النهوض بالأمة) في تحديد خلفيات نشوء الأحزاب السياسية، وأسباب فشلها في أداء دورها السياسي والاقتصادي والتنموي، وفي وضع تصور دقيق عن هذه الأحزاب العربية ودورها في تراجع وتخلف الأمة عن ركب الحضارة والتقدم.

المقدمة

الورقة تناقش الأحزاب والتنظيمات السياسية العربية، كيف نشأت ودورها السياسي والاقتصادي وما هي الاخفاقات التي تعرضت لها. كذلك تبين حجم الفشل الذي حصل والتراجع الكبير في النهوض بالأمة والسلبيات التي صاحبت فشلها.

ولعل أبشع صور الفشل هو دخول هذه الأحزاب وخاصة الحاكمة منها في صراعات وحروب مصطنعة وغير مدروسة فقط لتلميع صورتها عند الجماهير ومثال ذلك صرعات حزب **(الاتحاد الاشتراكي العربي)** المصري الذي اسسه **الرئيس جمال عبدالناصر** في عام ١٩٦٢م ليعلن بدء مرحلة من الفشل العربي بالدعوة للقومية العربية والمساهمة في الانقلابات العربية واخيرا الدخول في حروب خاسرة مثل حرب اليمن (١٩٦٢م- ١٩٧٠م) وحرب الايام الستة مع اسرائيل ١٩٦٧م التي منيت فيها القومية العربية بخسارة كبيرة وبالذات عبدالناصر.

كما برز في الساحة العربية **حزب البعث العربي الاشتراكي** الذي ظهر في كل من العراق ١٩٥٢م ووصل إلى الحكم ١٩٦٣م وظل في الحكم حتى سقوط صدام عام ٢٠٠٣م أي ٤٠ سنة وفي سوريا منذ ١٩٦٣م وحتى الآن أي نصف قرن. وقد خاض حزب البعث العربي الاشتراكي حروبا خاسرة مع ايران لمدة ثمان

سنوات ثم اجتاح الكويت وأدخل العالم العربي في نفقٍ مظلمٍ من الانقسامات والتحديات.

وجاء **حزب البعث السوري** ليستكمل مسلسل التخاذل والانكسار حينما سلّم بلدهُ بالكامل لأجندةٍ خارجية ليحول سوريا إلى حلبةٍ صراعات لا تنتهي وتدمير لكل شيء حتى الاطفال والنساء والشيوخ وبأبشع الاسلحة الكيماوية.

وتكررت ذات المآسي في الجزائر واليمن وليبيا والسودان وموريتانيا ومصر خاصة مع أحداث الربيع العربي، وشهدت المنطقة العربية اختلالات شديدة وخطيرة عصفت بجميع الثوابت المتعارف عليها، ولم تقدم الأحزاب الإسلامية التي علَّقت عليها الجماهير الآمال شيئا يذكر حين وصولها للسلطة.

وهكذا فشلت الأحزاب العربية بجميع تصنيفاتها في تحقيق طموحات وآمال الجماهير العربية لعدة اسباب منها أهمها بعدها عن أهدافها الحقيقة، وتعزيز دكتاتورية الفرد أو الحزب وتهميش الآخر، والقضاء على المعارضة وتهميش دورها الطبيعي.

المبحث الأول: التعريفات والمصطلحات

مفهوم الحزب لغة:

الحزب: جماعة الناس والجمع أحزاب، أو: الصنف من الناس، والطائفة.

وحِـزْبُ الرجل: أصحابه وجنده الذين على رأيـه.. وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وإن لم يلق بعضهم بعضًا..

وحازَبَ القوم وتحزَّبوا تجمعوا وصاروا أحزابا، وحَزَّبَهُمْ جعلهم كذلك، وحَزَّبَ فلان أحزابًا أي جمعهم.. (انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص (٣٠٨-٣٠٩) بتصرف).

مفهوم الحزب اصطلاحاً:

أما اصطلاحاً فقد وردت تعريفات عدة للحزب، حيث تأثرت هذه التعريفات بالخلفية الفكرية والثقافية للشخص الذي قام بالتعريف والبيئة الاجتماعية والسياسية التي نشأ فيها.

الحزب في القرآن الكريم والسنة النبوية:

وردت كلمة حزب في القرآن الكريم ٢٠ مرة في ١٣ سورة، وردت ٨ مرات بصيغة المفرد، ومرة واحدة بصيغة المثنى، و١١ مرة

بصيغة الجمع، وهناك سورة كاملة باسم الأحزاب، ومن خلال استقراء هذه الآيات يتضح أن الـ (حزب) في القرآن يفيد بشكل عام معنى الترابط المنظم، سواء أكان في الخير أو الشر.

فقد ورد بمعنى:

١. **الأنصاروالأتباع:** كما في قوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة:١٩)، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (المجادلة:٢٢)

٢. **الجماعة:** كما في قوله تعالى:﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ (الكهف:١٢).

٣. **المتآمرون:** كما أطلق لفظ الأحزاب على الذين تآمروا على الرسول صلى الله عليه وسلم وتجمعوا لمحاربته كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب/٢٢).

وبعد استقراء معاني الحزب في القرآن الكريم نصل إلى الحقائق التالية:

١. وردت كلمة الحزب تارة بمعنى المدح مثل (حزب الله)، وتارة بمعنى الذم مثل (حزب الشيطان)، وتارة بشكل عام مثل قول الله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون/٥٣).

٢. لا يفيد مصطلح الحزب في القرآن الكريم المعنى الاصطلاحي المعاصر له والذي يعني جماعة سياسية تسعى للوصول إلى السلطة، وإنما يفيد المصطلح الجماعة والطائفة بشكل عام، ثم يُعرف ماهية هذه الجماعة من خلال ما يضاف للحزب فيكون ممدوحا مثل (حزب الله) أو مذموما مثل (حزب الشيطان). أما المصطلح بحد ذاته فليس بمذموم ولا ممدوح.

أما في السنة النبوية فقد ورد الحزب كما في القرآن الكريم بمعان متعددة وهي لا تخرج عن المعاني التي حددتها معاجم اللغة.

فقد جاء بمعنى:

١. **الوِرْد اليومي للقرآن:** ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «طَرَأ عليّ حِزْب من القرآن فأحبَبْت أن لا أخْرُج حتى أقْضِيه»[١١]؛ فالحِزب هنا ما يجعله الرجُل على نفسه من قراءة أو صلاة كالوِرْد..

(١١) سنن ابن ماجه (١٣٤٥/١٣٣٥) ومسند الإمام أحمد (١٥٧٣٣/١٥/١٢٧).

٢. **الأحـــزاب:** بمعنى الطوائف، ومنه حديث: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اللهم اهْزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزَلْزِلهم»[١٢].

تعريف الحزب السياسي:

هناك عدة تعريفات للحزب السياسي لعلماء ومفكرين وباحثين نذكر بعضها:

١. الحزب السياسي هو تنظيم سياسي يسعى إلى بلوغ السلطة السياسية داخل الحكومة أو من خلال مرشح في الانتخابات الرئاسية، وعادة من خلال المشاركة في الحملات الانتخابية.

٢. ويرى **دزرائلي** أن الحزب السياسي «مجموعة من الأفراد يجمعهم الإيمان والالتزام بفكر معين».

٣. وهناك من يرى أن الحزب بمثابة «تنظيم سياسي له صفة العمومية والدوام وله برنامج يسعى بمقتضاه الوصول إلى السلطة».

٤. ويمكن الجمع بين العديد من خصائص الحزب السياسي والتوفيق بين التعاريف السابقة، من خلال هذا التعريف فالحزب هو: «جماعة اجتماعية تطوعية واعية ومنظمه ومتميزة من حيث الوعي السياسي والسلوك الاجتماعي المنظم ومن حيث الطموحات والآمال المستقبلية ولها غايات قريبة

(١٢) صحيح البخاري (٢٧٣٠/٢٩٣٣)

وبعيدة تهدف هذه الجماعة إلى الاستيلاء على السلطة (إذا كانت في المعارضة وإلى تغير سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي وحياتي يتساوق مع قناعتها واتجاهاتها».

٥. **تعريف الكاتب البريطاني (إدموند بيرك)**: أنه «مجموعة من الأفراد اتحدت بجهودها الذاتية لترقية المصلحة الوطنية على أساس مبدأ معين متفق عليه بين المجتمع».

٦. **تعريف هارولد لاسويل** Harold Lasswell: أنه «المنظمة المختصة بتقديم المرشحين والقضايا السياسية تحت اسمها في الانتخابات».

٧. **تعريف كولمان** J.S.Colman: «أنها اتحادات وجمعيات منظّمة بصفة رسمية ولها هدف واضح ومعلن يتمثل في حصولها، أو احتفاظها بالقيادة أو الإدارة الشرعية على الأشخاص أو السياسة الحكومية لدولة ذات سيادة حالية أو مرتقبة، سواء حصلت على هذه القيادة بمفردها أو عن طريق ائتلافي أو عن طريق المنافسة الانتخابية مع غيرها من الاتحادات أو الجمعيات المماثلة».

٨. **تعريف وليم كروس** William Cross: الأحزاب السياسية من أهم مرتكزات الديمقراطية حيث يمكن بواسطتها اختيار رئيس الوزراء والوزراء والمناصب السيادية والسلطات التشريعية، وتقرر القضايا المصيرية للبلاد.

٩. **تعريف «موسوعة السياسة»**: بأنه مجموعة من المواطنين

يؤمنون بـأهـداف سياسية وإيديولوجية مشتركة وينظمون أنفسهم بهدف الوصول إلى السلطة.

١٠. **تعريف الدكتورة نبيلة عبد الحليم:** «تنظيم يضم مجموعة من الأفـراد تدين بنفس الرؤية السياسية وتعمل على وضع أفكارها موضع التنفيذ، وذلك بالعمل في آن واحد على ضم أكبر عدد ممكن من المواطنين إلى صفوفهم وعلى تولي الحكم أو على الأقل التأثير على قرارات السلطات الحاكمة».

١١. **الأحـزاب السياسية:** تعتبر الأحـزاب وسيلة فعالة لتنظيم مشاركة الأفراد السياسة في الحكم بواسطة الانضمام إليها و تلعب الأحزاب دورا هاما في تمثيل الاقليات و حمايتها من الطغيان وتعمل على زيادة و تماسك و تلاحم المجتمعات غير المتجانسة و تعمل على تنمية الشعور القومي ونشر الوعي السياسي وقيادة حركات التحرير ضد التسلط الخارجي و الداخلي.

المقومات الأساسية للحزب:

من المتفق عليه ومن خلال التعريفات السابقة يمكن تحديد أهم المقومات الأساسية للحزب السياسي وهي:

١. **رؤية فكرية وسياسية يتم ترجمتها في برنامج سياسي:** يحدد موقف الحزب من قضايا ومشكلات المجتمع.

٢. **التنظيم الحزبي:** الذى يُمَكِن الحزب من توصيل رؤيته الفكرية

وبرنامجه السياسي.

٣. **الانتشار الجغرافي:** لتتواجد وحداته الأساسية في معظم القرى والأحياء السكنية بالمدن وأن تتواجد أيضاً في مواقع العمل.

٤. **الكادر السياسي:** يعتبر الكادر السياسي من المقومات الأساسية للحزب السياسي والتي لا يمكن بدونها أن يمارس الحزب نضاله ويصل بأفكاره إلى أوسع دائرة ممكنة على امتداد البلاد.

٥. **حياة داخلية ديمقراطية:** مثل أن تكون الهيئات ومراكز المسؤولية في الحزب بالانتخاب، وألا تزيد مدة بقاء الشخص في المسؤولية على دورتين انتخابيتين لتوسيع تداول القيادة داخل الحزب، وألا يتولى الشخص الواحد أكثر من مسؤولية قيادية واحدة.

٦. **الموارد المالية:** لتمكنه من ممارسة نشاطه بفاعلية في المجتمع.

«هذه هي أهم المقومات الواجب توافرها في الحزب السياسي ليكون قادراً على المنافسة الحزبية والانتخابية». «ولا شك أن هذا ينطبق على جميع الأحزاب السياسية في البلاد العربية وليس في مصر فحسب. بل أن الأحزاب في بعض الدول العربية أسوأ حالا مما هو مشاهد في مصر. حيث قدمت نماذج هشة في التعامل مع الجماهير والحكم والسياسات أقرب إلى الدكتاتورية منها إلى الديمقراطية».

كتبه **عبد الغفار شكر** بمقال تحت عنوان (المقومات الاساسية للحزب السياسي) في جريدة الأهرام اليومى بتاريخ: ١٧ مارس ٢٠١٢.

كما وذكرت هذه المقومات بطريقة أخرى راعت التعريفات السابقة وجاءت كالتالي:

١. **مجموعة من الأفراد:** أعضاء ومؤيدون وجماهير يؤمنون بفكر ومنهج الحزب.

٢. **الإطار الفكري:** وجود رابطة فكرية، يجتمع الأعضاء عليها تحتوي على أهم المبادئ والأفكار ويكون لهم برنامج واضح المعالم.

٣. **الإطار التنظيمي:** لما كان الحزب يهدف إلى كسب أكبر عدد ممكن من الجماهير إلى صفوفه، لذا يجب وضع قوالب وأشكال تنظيمية تستوعب هؤلاء الناس وتوظف طاقاتهم وتوزّع الأدوار بينهم.

٤. **الهدف السياسي:** وهو الوصول إلى السلطة، ويعد هذا العنصر الأساسي الذي يميز الحزب السياسي عن غيره من التنظيمات.

وبهذا فإن أي تجمع أو تنظيم تجتمع فيه العناصر السابقة يمكن أن يطلق عليه (حزب سياسي)، علماً أن ما ذكرناه ما هو إلا عناصر أساسية وقد توجد عناصر أخرى للحزب السياسي مثل القيادة والإدارة والعنصر المالي وغيرها...

القواسم المشتركة بين التعريفات والمفاهيم:

١. ضـرورة توفر رؤيـة سياسية موحدة (ايدولوجيا مشتركة) تترجم عادة في برنامج الحزب السياسي الذي يعرض على المواطنين لاختياره عبر الانتخابات

٢. وجود تنظيم يتمتع بالعمومية والاستمرار على أن يمتد التنظيم إلى المستوى المحلي مع وجود اتصالات منظمة داخلية وبين الوحدات المحلية والقومية

٣. اهتمام الحـزب السياسي بالتأييد الشعبي واستقطاب ولا سيما في أوقات الحملات الانتخابية والتصويت والتظاهرات الهامة.

٤. السعي الحثيث للوصول للسلطة أو المشاركة فيها عبر إقامة التحالفات في محاولة التأثير على قرارات وأولويات السلطة الحاكمة من خلال وجود الحزب في صف المعارضة.

إلا أن أغلب المختصين وعلى رأسهم العالم الفرنسي **موريس دوفرجيه** يؤكدون أن المعنى الصحيح للحزب السياسي كما نعرفه اليوم لا يعود لأكثر من حوالي ١٦٤ عاما من الزمن أي منذ عام١٨٥٠ لم يكن هناك وجود لأحزاب سياسية في أي بلد من العالم باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية. ويشير موريس دوفرجيه إلى أن نمو الأحـزاب السياسية ارتبط تاريخياً بنمو الديموقراطية واتساع مفهوم الاقتراع العام الشعبي ليشمل كافة الطبقات وإلغاء القيود المالية التي ارتبطت به في السابق.

أسباب نشأة الأحزاب السياسية:

١. **الأصل الانتخابي البرلماني** (أحزاب داخلية النشأة) نشأت من خلال الاتصال بين الكتل البرلمانية واللجان الانتخابية وقد أدى استمرار هذا الاتصال والتفاعل إلى ظهور الأحزاب السياسية.

٢. **الأصل غير الانتخابي** أو البرلماني (أحزاب خارجية النشأة). ظهور هذا النوع من الأحزاب ارتبط بقيام مجموعة من الجمعيات والنقابات والاتحادات التي قامت بتأسيسها.

أنواع الأحزاب من ناحية الحجم:

وتختلف الأحزاب من حيث طبيعتها العضوية ونستطيع هنا التمييز بين نوعين:

١. **أحزاب الكوادر أو الصفوة:** تضم في الغالب أبناء الطبقة البرجوازية ولا تبدي اهتماماً بالجماهير لأنها تهتم بفئة قليلة معينة وتعتمد أحزاب النخبة على الثروة والمكانة الاجتماعية المرموقة لأعضائها وتتسم بنوع من الهشاشة الداخلية والتزام الأعضاء بمبادئها وترى هذه النخب أنها تمتلك من الخبرة والقدرة على إدارة الحملات الانتخابية ما يمكنها من كسب الأصوات وإيصال المرشحين إلى كراسي الحكم.

٢. **أحزاب الجماهير:** تستقطب الجماهير لتحقيق غايات سياسية واجتماعية ومالية بغية تثقيف الجماهير وتوعيتها

سياسياً وإعداد نخبة منها لتولي المناصب السياسية والإدارية في الحزب والدولة إضافة إلى المورد المالي الذي يحصل عليه الحزب من تسديد اشتراكات المنتسبين ويندرج في هذا الإطار الأحزاب الشيوعية والقومية والدينية.

المبحث الثاني - تاريخ الأحزاب العربية

أولا: التنظيمات والأحزاب الإسلامية:

١ - حركة الامام محمد بن عبدالوهاب (١٧٥٠):

حركة إسلامية سلفية سياسية قامت في منطقة نجد وسط شبه الجزيرة العربية في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، الموافق للثامن عشر الميلادي على يد إمام الدعوة **محمد بن عبدالوهاب** (١٧٩٢-١٧٠٣) **والأمير محمد بن سعود** (١٧٦٥-١٧٠٠) حيث تحالفا لنشر الدعوة السلفية عام (١٧٥٠). لإقامةً دولة التوحيد والعقيدة الصحيحة وتطهيرًا لأمة الإسلام من الشرك والبدع والخرافات، وامتدت الدولة السعودية الأولى، فاستطاعت أن تصل إلى دمشق شمالاً وعمان جنوباً. وفي عام ١٨١٨ حاصرت القوات المصرية بقيادة **إبراهيم باشا بن محمد علي باشا** الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى ودمرتها، إلا أن الدولة السعودية تأسست من جديد في أوائل القرن العشرين تحت قيادة **عبدالعزيز بن سعود** (١٩٥٣-١٩٠٢) مؤسس المملكة العربية السعودية. وقد امتد أثر الدعوة إلى الآن وانتشرت في جميع ارجاء الدنيا.

وقال سماحة الشيخ **عبدالعزيز بن باز** عن دعوته: «إن دعوة الشيخ رحمه الله دعوة سلفية دعوة صحيحة وهو إمام محقق فتح الله عليه في هذا الباب ودعا إلى الله وأرشد إلى الله وصبر على الأذى وعلى معاداة من عاداه من أقاربه وغيرهم حتى نصره الله عليهم، وحتى أظهر الله الحق على يديه، ثم على يدي أبنائه بعده وعلى يد الأمراء من آل سعود، فجزاهم الله جميعاً خيرا ورحمهم رحمةً واسعةً، وضاعف لهم المثوبة. ولم تزل هذه الدعوة -بحمد الله- قائمة على يدي آل الشيخ وآل سعود وعلى يدي علماء الشريعة وعلماء العقيدة من علماء الجزيرة يدعون إلى الله ويُعلمون الناس دين الله، وهكذا انتشرت في خارج الجزيرة في الشام والعراق ومصر وفي الهند وغيرها، نقلها العلماء إلى هذه البلدان ونفع الله بها من شاء من العباد، وذلك بتوفيق من الله ورحمة من الله لمن نقلها ولمن نقلت إليه».

٢- الحركة الإصلاحية في مصر (١٨٧٠):

دعوة **جمال الدين الأفغاني** (١٨٣٩-١٨٩٧) وهو زعيم من زعماء الحركات الإسلامية الإصلاحية كانت كفاحاً سياسياً ضد الاستعمار الغربي، وضد كل محاولات التغريب التي تريد اضعاف العالم الإسلامي. والقضاء على الشخصية الإسلامية التي مصدرها القرآن الكريم والتي تجمع بين المسلمين في رباط واحد. والسعي لإفساد عقيدة المسلم إما بتشكيكه فيها أو بمحاوله صرفه عنها، من خلال الفلسفة أو الباطنية أو الصوفية أو الاشتراكية أو الاباحية. وأصدر في لندن جريدة (العروة الوثقى) وتبعه في

ذلك الشيخ **محمد عبده** (١٨٤٩ - ١٩٠٥) الذي ساهم في إنشاء حركة فكرية تجديدية إسلامية تهدف إلى القضاء على الجمود الفكري والحضاري وإعادة إحياء الأمة الإسلامية لتواكب متطلبات العصر. وأيضا الشيخ **محمد رشيد رضا** الذي كان مفكراً إسلامياً ومن رواد الإصلاح الإسلامي. وبالإضافة إلى ذلك، كان صحفيا وكاتبا وأديبا لغويا وأسس مجلة المنار.

٣- جماعة أنصار السنة المحمدية (١٩٢٦):

جماعة سنية سلفية إصلاحية معروفة انطلقت من مسجد الهدارة بالقاهرة عام ١٣٤٥هـ الموافق عام ١٩٢٦م. تجاوب معها عدد كبير من علماء الأزهر والدعاة السلفيين برئاسة الشيخ **محمد حامد الفقي** (مؤسس الجماعة) وتواكب على رئاسة الجماعة بعد وفاة مؤسسها مجموعة من العلماء البارزين أمثال: الشيخ/ **عبدالرزاق عفيفي** والشيخ **عبد الرحمن الوكيل**، في عام ١٩٦٩م أدمجت الحكومة المصرية جماعة أنصار السنة المحمدية في الجمعية الشرعية لتجمد نشاطها. والشيخ د. **عبد الله شاكر الجنيدي** هو الرئيس العام الحالي للجماعة.

٤- جماعة الإخوان المسلمين (١٩٢٨):

نشأت جماعة الإخوان المسلمين في الإسماعيلية برئاسة الشيخ **حسن البنا** عام ١٩٢٨م كجمعية دينية تهدف إلى التمسك بالدين وأخلاقياته وفى عام ١٩٣٢م انتقل نشاط الجماعة إلى القاهرة

ولم يبدأ نشاط الجماعة السياسي إلا في عام ١٩٣٨م. عرضت الجماعة حلا إسلاميا لكافة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تعانى منها البلاد في ذلك الوقت واتفقت مع مصر الفتاة في رفض الدستور والنظام النيابي على أساس أن دستور الأمة هو القران كما أبرزت الجماعة مفهوم القومية الإسلامية كبديل للقومية المصرية. حددت الجماعة أهدافها السياسية في الآتي: أن يتحرر الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي.. وأن تقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعي وتعلن دعوته الحكيمة للناس.

٥- جماعة أنصار السنة المحمدية - السودان (١٩٣٦):

وقد بدأت الأفكار السلفية تأخذ طريقها إلى البلاد من الحجاز عن طريق الحج وليس من مصر أو غرب إفريقيا الذي وفد منه الإسلام السني والصوفي. وطبقًا لدراسة أحمد محمد طاهر الذي كتب عن جماعة أنصار السنة المحمدية في السودان فإن السودان تعرّف على التيار السلفي من خلال كوكبة من العلماء، أبرزهم **عبد الرحمن بن حجر الجزائري** (١٨٧٠-١٩٣٩) الذي أقام بالسودان لفترة من الزمن. ومنذ العام ١٨٩٧، بدأت آثار دعوته السلفية تتبلور في السودان. وفي ١٩٣٦، أعلن (الشيخ **يوسف أبو**) قيام جماعة أنصار السنة من أجل الدعوة للتوحيد والعقيدة الصحيحة. وفي ١٩٤٧ تم التصديق لهم بإنشاء مركز عام. وفي ١٩٦٧، تم بناء مسجدهم الأول الذي افتتحه الملك فيصل بن عبد العزيز بن سعود. أُسِّس (حزب الوسط الإسلامي) رسميًّا في

أكتوبر ٢٠٠٦، بعد استقالة مؤسسه الدكتور **يوسف الكودة** من الأمانة العامة ومن المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية.

٦- حزب الاستقلال - المغرب (١٩٣٧):

حزب الاستقلال هو حزب سياسي وطني محافظ في المغرب. ارتبط ظهوره بمقاومة المغاربة الاستعمار الفرنسي (١٩١٢-١٩٥٦)، وكان يعرف في البداية بـ«كتلة العمل الوطني»، وانتخبت لجنتها في يناير ١٩٣٧ **علال الفاسي** رئيساً لها. وولد الحزب فعلياً يوم ١١ يناير ١٩٤٤ حيث تم تقديم ما عرف في تاريخ المغرب بوثيقة المطالبة بالاستقلال. ترأس الحزب علال الفاسي حتى وفاته عام ١٩٧٢ وهو سياسي وأديب مغربي، وأحد أعلام الحركة الإسلامية الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين، التي دعت إلى نوع من السلفية التجديدية، بالتزامن مع ظهور محمد عبده ورشيد رضا ومحمد الطاهر بن عاشور وغيرهم. وبعد وفاة الملك محمد الخامس، تولى وزارة الدولة للشؤون الإسلامية عام ١٩٦١م، ثم استقال عام ١٩٦٣م، وانضمّ بحزبه حزب الاستقلال إلى صفوف المعارضة.

٧- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٩٦١):

جامعة سعودية أسست في عهد الملك **سعود بن عبد العزيز آل سعود** عام ١٣٨١هـ وترأسها سماحة الشيخ **محمد بن إبراهيم آل الشيخ** ثم سماحة الشيخ **عبدالعزيز بن عبدالله بن باز** يرحمهما

الله تعالى وكانت الجامعة قبلة للعلماء وطلبة العلم الشرعي فخرَّجت نخبة متميزة انتشرت في كل بقاع العالم خاصة في الفترة التي ترأسها الشيخ بن باز.

٨- الجماعات والأحزاب الإسلامية الأخرى (١٩٧٠):

وظهرت عدة جماعات إسلامية نشيطة ولها دور سياسي في **الكويت** ١٩٨١ بدخول عناصر من الإخوان والسلفيين لمجلس الأمة الكويتي وتأسست **الحركة الدستورية الإسلامية (حدس)** لتمثل الإخوان المسلمين و**التجمع الإسلامي السلفي** ليمثل السلفيين في عام ١٩٩٠.

وفي **البحرين** خاضت **(جمعية المنبر الوطني الإسلامي)** ممثلة عن الإخوان و**(جمعية الأصالة الإسلامية)** الذراع السياسية لجمعية التربية الإسلامية التي تمثل التيار السلفي في البحرين انتخابات ٢٠٠٢. وفي الفترة ١٩٨٩-١٩٩٨ ظهرت في **الأردن حركة الإخوان المسلمين** بقوة واتسعت مشاركته السياسية والعامة ونتيجة للنجاح الكبير الذي حققته الجماعة في انتخابات ١٩٨٩م، واعتلائها رئاسة البرلمان لثلاث دورات متتالية، أصدرت السلطات الأردنية قانوناً انتخابياً جديداً، سُمي بقانون الصوت الواحد، وعلى الأثر، قررت الجماعة إنشاء **(حزب جبهة العمل الإسلامي)** سنة ١٩٩٢م. وفي **تونس** ظهرت **حركة النهضة** الإخوانية عام ١٩٨٩. وفي **الجزائر** تأسست **الجبهة الإسلامية للإنقاذ** عام ١٩٨٩.

وفي **السودان** قاد **(حزب المؤتمر الوطني)**، هو الحزب الذي

يحكم السودان الآن قام الحزب بعد انقسام الحركة الإسلامية السودانية إلي حزبين (**المؤتمر الوطني - المؤتمر الشعبي**)، حيث قامت الحركة الإسلامية بقيادة أمينها **حسن الترابي** وعسكريا بقيادة **عمر البشير** بانقلاب عسكري ضد الرئيس المنتخب **الصادق المهدي** عام ١٩٨٩، وبعدها حكم عمر البشير السودان والذي أصبح أيضا رئيساً لحزب المؤتمر الوطني والسودان الي الآن. يعد حزب المؤتمر الوطني السوداني امتدادا للفكر الإسلامي السياسي في السودان المرتبط بشكل وثيق بشخصية د .حسن الترابي.

وفي **العراق** برز الإخوان المسلمون تحت مسمى **جمعية الاخوة** الإسلامية عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٥٤وتشكل بعدها **الحزب الإسلامي العراقي** عام ١٩٦٠ كواجهة سياسية لجماعة الإخوان المسلمين ولكن لم يكن فاعلا الا بعد عام ٢٠٠٣ وفي عام ٢٠٠٩ وعلى اثر الانتخابات الداخلية أعلن **طارق الهاشمي** أمين عام **الحزب الإسلامي العراقي** خروجه النهائي من الحزب ولم يعد انتماؤه قائما بعد ذلك، وقام بتشكيل حركة تجديد إلى التجديد التي انضوت في القائمة العراقية ودخلت الانتخابات النيابية.

وفي **فلسطين** استطاعت **حركة المقاومة الإسلامية (حماس)** أن تجد لها قدما منذ عام ١٩٨٧ مع بداية الانتفاضة الاولى شاركت في الانتخابات التشريعية الفلسطينية ٢٠٠٦، بقائمة كتلة التغيير والإصلاح، وحققت فوزا كبيرا في المجلس التشريعي بواقع٧٦ مقعد من أصل ١٣٢ مقعد، مما أعطى حماس أغلبية في المجلس، وهذا يدل على شعبيتها الضخمة في فلسطين. وفي **لبنان** تعتبر

الجماعة الإسلامية في لبنان ١٩٦٤ واحدة من القوى السياسية الرئيسية في البلاد. وتنتمي إلى الإخوان المسلمين. حققت الجماعة انتصاراً نسبياً في انتخابات عام ١٩٩٢.إلا أن الجماعة الإسلامية تراجعت بعد ذلك. وفي **سوريا**: تأسست **حركة الإخوان المسلمين** في ثلاثينيات القرن العشرين، وتعرضت الحركة في عام ١٩٨٢ لحملات قمع دامية من قبل نظام حزب البعث أوقعت آلاف القتلى خاصة في مدينة حماة فيما عُرف بمجزرة حماة، وكان أول مراقب لها في سوريا **مصطفى السباعي** بين عامي ١٩٤٥- ١٩٦٤، ومن بعده عصام العطار.

ثانيا: التنظيمات والأحزاب القومية:

١ – حزب البعث العربي الاشتراكي (١٩٤٧):

حزب البعث العربي الاشتراكي حزب تأسس في دمشق، سوريا في العام ١٩٤٧ تحت شعار **(أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة)** وأهدافه **(وحدة حرية اشتراكية)** وهي تجسد الوحدة العربية والتحرر من الاستعمار والإمبريالية وإقامة النظام الاشتراكي العربي. وهو الحزب الحاكم في سوريا منذ ثورة الثامن من آذار/ مارس في عام ١٩٦٣ حتى الآن وكان الحزب الحاكم للعراق منذ ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٨ حتى سقوط نظام **الرئيس صدام حسين** بتاريخ ٩نيسان/ أبريل ٢٠٠٣ في أيدي قوات التحالف.

نشأ حزب البعث في بداية الأربعينات على يد **ميشيل عفلق**

وصلاح البيطار الذين ينحدران من الطبقة المتعلمة المتوسطة في دمشق. فبعد عودتهما من دراستهما في السوربون في باريس إلى مدينتهما دمشق عام ١٩٣٣. وله فروع في معظم الدول العربية وبالذات لبنان واليمن والسودان.

ميشيل عفلق (١٩١٠- ١٩٨٩)، مفكر قومي عربي ولد في دمشق وأكمل دراسته الجامعية بجامعة السوربون في باريس. بعدها عاد إلى دمشق وتنقل بينها وبيروت والقاهرة وبغداد. تأثر عفلق بحركة الانبعاث الإيطالي بأهدافها (**الوحدة - الحرية - الاستقلال**) بزعامة **جوزيبي مازيني** فحملها إلى الواقع العربي ولكون كثير من الدول العربية نالت استقلالها نسبيا مزج عفلق مبدأ الاشتراكية ليكون الفارق البسيط مع فكرة مازيني (الانبعاث الإيطالي).

٢- حركة القوميين العرب (١٩٤٨):

حركة القوميين العرب حركة تأسست في أعقاب نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، نشأت أساسا في لبنان بين أوساط طلبة الجامعات مثل الجامعة الأمريكية في بيروت، شارك في تأسيسها **جورج حبش**، **هاني الهندي**، **وديع حداد**، **أحمد الخطيب**، **صالح شبل** و**حامد الجبوري**. تأثر منشئوها **بقسطنطين زريق**، كما أنه وبالرغم من أن وثائق الحركة لا تشير إلى ارتباطها **بكتائب الفداء العربي**، إلا أنه هناك إجماع على تأثير الأخيرة على تأسيس حركة القوميين العرب، إن لم تكن امتداداً لنشاطها، فعلى أقل تقدير كان اثنان من

مؤسسي حركة القوميين العرب أعضاء مؤسسين لكتائب الفداء العربي، هما **جورج حبش وهاني الهندي**.

وفي كتاب من اعداد مركز دراسات الوحدة العربية بعنوان **(الأحزاب والحركات والتنظيمات القومية في الوطن العربي)** ما نصه في صفحة ٣٥٣: «**انتقلت الحركة إلى موقع الموالاة لنهج عبدالناصر وتوجهاته العربية، ولثورة٢٣ يوليو، منذ عام ١٩٥٦، ثم كرست هذا التوجه بقرارات مؤتمرها التأسيسي في بيروت ٢٥/١٢/١٩٥٦**».

٣- الناصرية (١٩٥٦):

الناصرية أو التيار الناصري حركة قومية عربية، نشأت في ظل حكم جمال عبد الناصر رئيس مصر من عام (١٩٥٦- ١٩٧٠) واستمرت بعد وفاته واشتقت اسمها من اسمه وتبنت الأفكار التي كان ينادي بها وهي: **(الحرية والاشتراكية والوحدة)** وهي نفس أفكار الأحزاب القومية اليسارية العربية الأخرى وتعتمد على الفكر القومي الذي ظهر بعد سقوط الدولة العثمانية. الاشتراكية أساس التقدم الاقتصادي ونادت بالاشتراكية العلمية وهي الشيوعية أو الماركسية!

أول من أطلق لفظ (الناصرية) **محمد حسنين هيكل**، وذلك بمقال له في جريدة الأهرام في ١٩٧٢/١/١٤. جاء بعده **كمال رفعت** وأصدر في عام ١٩٧٦م كتيبا بعنوان **(ناصريون)** ذكر فيه مبادئ الناصرية وأهدافها. وبلور **د. عبد القادر حاتم** كما جاء في

جريدة الأخبار (١٩٧٠/١٠/٢م) حيثما قال: «أصبح في العالم اليوم مذهب سياسي متميز ينتسب إلى عبد الناصر». وقد وافق القضاء المصري على إعلان الناصرية كحزب باسم (**الحزب الديمقراطي الناصري**) وذلك في يوم الاثنين ١٨/شوال/١٤١٢هـ (١٩٩٢/٤/٢٠م) برئاسة **ضياء الدين داود** المحامي، وعضو مجلس الشعب المصري.

ثالثا: الأحزاب الشيوعية العربية:

تتفق المراجع والوثائق التي اهتمت بتاريخ الأحزاب الشيوعية العربية حول تاريخ تأسيسها وارتباطه بانتصار الثورة البلشفية في روسيا وبدرجة أقل بالثورة الماوية في الصين بينما التباين قائم حول ظروف التأسيس وملابساته والقوى المؤثرة فيه، كانت نشأة أقدم الأحزاب الشيوعية العربية في ظلال مدّ الحركات الوطنية المطالبة بالاستقلال والتحرر من الاستعمار لكن ارتباطات الحركة الشيوعية وظروف تأسيسها جعلها مثار تساؤلات وردود فعل وصلت إلى حد التشكيك في مصداقيتها واتهامها بالولاء للقوى الأجنبية. وتأسست احزاب شيوعية في عدد من البلدان العربية، في فلسطين (١٩١٩) ومصر وسوريا ولبنان ولحقتها قافلة الأحزاب والمنظمات الشيوعية والعمالية. رغم تاريخها الطويل وعمرها الزمني لم تتمكن الأحزاب الشيوعية من تسلم سلطة كاملة في أي بلد عربي وتنفيذ مهمة الحزب الاساسية. ما عدا ما حصل في اليمن الجنوبي كتجربة ماركسية اولية.

المبحث الثالث – نقد الأحزاب العربية

أولا: نقد التنظيمات والأحزاب الإسلامية:

١ – ثبات واستمرارية الدعوة الوهابية:

لقد استطاعت الحركات الإسلامية أن تؤثر بشكل ايجابي في المجتمعات العربية، ونجحت إلى حد كبير في استقرار وثبات المجتمعات فقد اسهمت دعوة الامام **محمد بن عبدالوهاب** في تقدم شبه الجزيرة العربية عقائديا ونبذ الشرك والخرافات، وعلى الرغم من مرور أكثر من ٢٥٠ عاما على هذه الدعوة إلا أن أثارها لاتزال موجودة وفاعلة ليس في محضنها الأصلي بل في كافة أرجاء العالم.

٢– الحركة الاصلاحية في مصر:

وقد تداعى مجموعة من المفكرين والعلماء الشرعيين في مصر إلى تبني أفكار **جمال الدين الأفغاني** التجديدية ونبذ القديم وقد تأثرت كثير من الدول العربية بالحركة الاصلاحية وبمفكريها أمثال الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وغيرهم.

٣– الموقف الشرعي من وجود الجماعات الإسلامية:

إن الموقف الشرعي من الجماعات الإسلامية عبر عن سماحة

الشيخ ابن باز بقوله: «وجود هذه الجماعات الإسلامية فيه خير للمسلمين، ولكن عليها أن تجتهد في إيضاح الحق مع دليله وأن لا تتنافر مع بعضها، وأن تجتهد بالتعاون فيما بينها، وأن تحب إحداهما الأخرى، وتنصح لها وتنشر محاسنها، وتحرص على ترك ما يشوش بينها وبين غيرها، ولا مانع أن تكون هناك جماعات إذا كانت تدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم».

٤- الموقف الشرعي من الانتماء للجماعات الإسلامية:

يقول سماحة الشيخ ابن باز: «الواجب على كل إنسان أن يلتزم بالحق، قال الله عز وجل وقال رسوله صلى الله عليه وسلم، وألا يلتزم بمنهج أي جماعة، لا إخوان مسلمين، ولا أنصار سنة، ولا غيرهم، ولكن يلتزم بالحق، وإذا انتسب إلى أنصار السنة وساعدهم في الحق، أو إلى الإخوان المسلمين ووافقهم على الحق من دون غلو ولا تفريط فلا بأس، أما أن يلزم قولهم ولا يحيد عنه فهذا لا يجوز، وعليه أن يدور مع الحق حيث دار، إن كان الحق مع الإخوان المسلمين أخذ به، وإن كان مع أنصار السنة أخذ به، وإن كان مع غيرهم أخذ به، يدور مع الحق، يعين الجماعات الأخرى في الحق، ولكن لا يلتزم بمذهب معين لا يحيد عنه ولو كان باطلاً، ولو كان غلطاً، فهذا منكر، وهذا لا يجوز، ولكن مع الجماعة في كل حق، وليس معهم فيما أخطأوا فيه».

٥- الموقف من جماعة الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ:

يقول سماحة الشيخ ابن باز: «كلهم عندهم نقص، جماعة التبليغ وجماعة الإخوان المسلمين، يجب أن يحاسبوا أنفسهم وأن يستقيموا على الحق، وأن ينفذوا ما دل عليه الكتاب والسنة، في توحيد الله والإخلاص له، والإيمان به واتباع شريعته، وعلى الإخوان المسلمين وفقهم الله أن يحاسبوا أنفسهم وأن يحكموا شرع الله فيما بينهم، وأن يستقيموا على دين الله: قولاً وعملاً وعقيدة، وأن يحذروا مخالفة أمره أينما كانوا، وعلى جماعة التبليغ أيضاً أن يحذروا ما كان يفعله أسلافهم من تعظيم القبور، والبناء عليها أو جعلها في المساجد أو دعائها والاستغاثة بها، كل هذا من المنكرات، والاستغاثة بها من الشرك الأكبر، فعليهم أن يحذروا ذلك، لهم نشاط في الدعوة إلى الله، وكثير منهم ينفع الله به الناس، لكن عند أسلافهم عقيدة غير صالحة، فيجب على الخلف أن يتطهروا منها، وأن يحذروا العقيدة الرديئة وأن يستقيموا على توحيد الله حتى ينفع الله بهم وبجهادهم».

٦- جماعة أنصار السنة المحمدية:

بقيت الجماعة دعوية ولم تنخرط بالعمل السياسي إلا بعد ثورات الربيع العربي في مصر حيث ساهمت في دعم التيار الإسلامي ممثلا في الإخوان المسلمين للوصول للحكم ولكن سرعان ما ابتعد السلفيون وعملوا بمفردهم تفاديا للسلبيات التي

صاحبت حكم الإخوان وقد ساهمت ايضا في تأسيس **حزب النور السلفي** (٢٠١١) برز الحزب كثاني أكبر القوى الحزبية في مصر بعد الفوز بنحو ٢٢ ٪ من مقاعد مجلس الشعب، ٢٠١١ – ٢٠١٢ وهي أول انتخابات تشريعية يخوضها. ثم مر الحزب بأزمة حادة انتهت بانشقاق رئيس الحزب **عماد عبد الغفور** وعدد من القيادات في ديسمبر ٢٠١٢ وأسسوا حزباً جديداً باسم **حزب الوطن**..

٧– جماعة الإخوان المسلمين:

لقد استطاعت جماعة الإخوان المسلمين أن تصل إلى الحكم والتأثير في أكثر من بلد عربي وبالذات مصر إلا أنها لم تدرك صعوبة المرحلة وتراجع دورها سريعا في كل من مصر وتونس وليبيا والجزائر والمغرب وسوريا واليمن ومنيت بضربات شديدة في معظم الدول العربية ومنعت واعتبرت كمنظمة ارهابية. فضلا عن الاخفاقات في كل من سوريا والعراق والأردن.

٨– حزب الاستقلال – المغرب:

لعل شخصية **علال الفاسي** هي التي جعلت لحزب الاستقلال ثقلا وطنيا وسياسيا كبيرا لذا بعد وفاته عام ١٩٧٤م تراجع دور العمل في الحزب وبرزت احزاب اخرى منافسة في المغرب.

٩– الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة:

لعبت دورا كبيرا في ايجاد أرضية ممتازة للعلم السلفي تدريسه

ونشره وتكوين قاعدة أساسية من العلماء التي أثرت في أكثر من موقع في العالم الإسلامي.

١٠ – الجماعات والأحزاب الإسلامية الأخرى:

لقد لعبت الجماعات الإسلامية دورا بارزا في العمل السياسي متى ما سمح لها بذلك وتوفرت لها الحرية مثل الكويت والبحرين وفي فترة الأردن، في حين واجهت هذه الجماعات التضيق والاعتقالات والتصفية وايقاف الانشطة في دول أخرى مثل تونس والجزائر والعراق ولبنان وسوريا.

أما في السودان فقد نجحت الحركة الإسلامية السودانية في الاستمرار رغم التحديات الكبيرة والانشقاقات والتراجع في الأداء. وذات الحال ينطبق على الوضع في فلسطين ودور حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الذي يجد كثير من المعوقات الداخلية والخارجية.

١١ – أسباب تعثر الجماعات الإسلامية:

لقد عانت الجماعات الإسلامية تراجعا كبيرا أمام تنامي تيار العنف الذي أخذ يستحوذ على انتباه العالم مما أدى إلى خفوت صوت الوسطية والحق. كذلك رحيل بعض الرموز الكبيرة من العلماء من أمثال سماحة الشيخ **عبدالعزيز بن باز** (١٩١٠-١٩٩٩) والشيخ العلامة **محمد بن صالح العثيمين** (١٩٢٥-٢٠٠١) والمحدث الفذ الشيخ **محمد ناصر الدين الألباني** (١٩١٤-١٩٩٩)

في فترة متقاربة. كما وأن حادثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وجهت الاتهام إلى الإسلاميين وتم التضييق عليهم وعلى أنشطتهم. وكذلك الفتور وضعف الالتزام لدى القيادات والشباب على حد سواء، والانفتاح الاعلامي والمعلوماتي الكبير. وعدم تطوير منهجية التعليم الشرعي وفق الأساليب الحديثة. وأيضا غياب التخطيط الاستراتيجي خاصة في مجال العمل السياسي الإسلامي.

ثانيا: نقد التنظيمات والأحزاب القومية:

ا – حزب البعث العربي الاشتراكي:

على الرغم من الفرصة الكبيرة التي توفرت لحزب البعث العربي الاشتراكي في السياسية والحكم بحيث استمر في الحكم في حاضرتين من عواصم العالم العربي والإسلامي هما دمشق وبغداد فقد حكم البعث في سوريا منذ عام ١٩٦٣ والى الآن أي حوالى ٥٢ عاما، في حين حكم البعث في العراق منذ عام ١٩٦٨ حتى سقوط **صدام حسين** عام ٢٠٠٣ أي حوالى ٣٥ عاما.. فضلا عن ظهوره كقوة عسكرية كبيرة في الوطن العربي وقوة سياسية مؤثرة كحزب في أغلب الدول العربية من الكويت إلى موريتانيا، إلا أن الحزب لم يلامس شعاراته المطروحة من أننا أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة، أو حتى أهدافه من الوحدة والحرية والاشتراكية.

لقد شغل حزب البعث العربي العالم بحروب وانتكاسات

مستمرة على مدى ٣٣ سنة منها ٨ سنوات في حرب الخليج الأولى وهي **الحرب العراقية الايرانية** (١٩٨٠-١٩٨٨) و١٣ سنة في حرب الخليج الثانية: من احتلال الكويت ثم عملية تحريرها المسماه **(عملية عاصفة الصحراء أو حرب تحرير الكويت)** وما تبع ذلك من توتر استمر حتى حرب الخليج الثالثة وهي عملية احتلال العراق (١٩٩٠-٢٠٠٣). وظل الاحتلال الامريكي للعراق ٨ سنوات حتى عام ٢٠١١. كما ودخل البعث السوري في حرب أهلية ضد شعبه على مدى ٤ سنوات، انتهكت فيها جميع المواثيق والاعراف والقيم الانسانية. واستعان البعث العربي بالقوة الفارسية والروسية لضمان بقاءه واستمراريته من الدعم اللامحدود من ايران وحزب الله اللبناني، وادخل سوريا في نفق من القتل والدمار والارهاب في سابقة لم يشهد لها التاريخ مثيلا وها هي القوات الدولية تحشد مرة أخرى للقضاء على تبعات التعنت البعثي في الحرب الدائرة ونمو الحركات الإرهابية مثل **تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)**.

وقد سقطت ايدولوجية حزب البعث العربي عندما قامت القوات العراقية في يوم الخميس ٢ أغسطس ١٩٩٠ باحتلال الكويت بالقوة الغاشمة وفرضت الهيمنة والدكتاتورية عليها ولم تستمع لنداءات القادة العرب وجامعة الدول العربية بالانسحاب.. بل أخذ الرئيس العراقي **صدام حسين** يراوغ إلى أن حشدت القوات الدولية في تحالف أممي غير مسبوق لدحر عدوانه ورميه خلف الحدود الدولية المتعارف عليها. وبهذا

تحررت الكويت من براثن العدو العربي الغاشم في ٢٦ فبراير ١٩٩١.

ومع هذا لم يرعو صدام واستمر في التحرش وبسط النفوذ من خلال التهديد بالقوة مرة تلو أخرى إلى أن جاءت الساعة الحاسمة عام ٢٠٠٣ ودخلت القوات المتحالفة العراق واسقطت حكم البعث واحتلت القوات الاجنبية العراق ولم تنسحب إلى عام ٢٠١١.

إن فكرة حزب البعث العربي الاشتراكي فكرة غربية بعيدة عن واقع وهموم الأمة فقد استوردها المسيحي ميشيل عفلق (١٩١٠- ١٩٨٩)، عن فكرة الانبعاث الإيطالي بأهدافه (الوحدة - الحرية - الاستقلال) ومزجها بمبدأ الاشتراكية حركة القوميين العرب:

ا – حركة القوميين العرب والناصرية:

لقد كان يوم الأربعاء ١٩٦٧/٦/٧ هو يوم من الأيام العصيبة على الأمة العربية والإسلامية حين دخل اليهود القدس الشرقية واحتلوا المسجد الأقصى. هذه الحادثة كانت إيذانا بسقوط مشروع القوميين العرب وتحالفهم مع الناصرية.

لم تقدم حركة القوميين العرب فكرا مستمدا من تراث وتاريخ الأمة العربية، بل قدمت أنموذجا غربيا جلبه قسطنطين زريق الأرثوذكسي (١٩٠٩– ٢٠٠٠) بعد دراسته في الجامعة الأمريكية في بيروت ثم الولايات المتحدة عاد زريق بعد تخرّجه إلى الجامعة الأميركية في بيروت وترقى في درجاتها إلى أن اصبح رئيسا لها

كما عملّ في جامعة دمشق وفي جامعتيّ كولومبيا وجورج تاون في الولايات المتحدة كأستاذ زائر. وخدم في المفوضية السورية بواشنطن، وكان خلال ذلك عضواً مناوباً في مجلس الأمن في الفترة بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٧.

وتبنى الفكرة ونشط بها النصراني جورج حبش (١٩٢٦-٢٠٠٨)، مؤسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يلقبه أنصاره بالحكيم (**لكل ثورة حكيم ولثورتنا الفلسطينية حكيم واحد وهو جورج حبش**)، شغل منصب الأمين العام للجبهة الشعبية حتى عام ٢٠٠٠ وهو المؤسس لحركة القوميين العرب.

وقد أدخلت الناصرية الأمة في عداوات وحروب متوالية أضعفت الأمة وجعلتها لقمة سائغة لأعدائها من اليهود والشيوعيين وغيرهم.

وقد رد العلماء الافاضل ومنهم سماحة الشيخ **عبدالعزيز بن باز** رحمه الله على فكرة القومية العربية فقال عن النصوص الشرعية التي تمجد العرب: «**هذه النصوص فيما علمنا كلها ضعيفة لا تخلوا من مقال، وبعضها باطل وبعضها فيه ضعف**».

وبين سماحته رحمه الله ميزة العرب في حمل لواء الإسلام فقال: «ثم العرب لهم مزية من جهد أنهم رهط النبي - صلى الله عليه وسلم - وأن الله بعثه فيهم بعثه بلسان عربي ولهم مزية من هذه الحيثية.. وهم أول من حمل الإسلام ونشره بين الناس فلهم مزية فينبغي أن تعرف لهم أقدارهم، ويعرف فضلهم أعني العرب

الذين دخلوا في الإسلام وحملوه إلى الناس وعلموه الناس وصاروا قدوة في الخير كالصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم».

وحينما سئل عن القومية العربية قال سماحته رحمه الله: «هذه دعوة جاهلية لا يجوز الانتساب إليها ولا تشجيع القائمين بها، بل يجب القضاء عليها، لأن الشريعة الإسلامية جاءت بمحاربتها والتنفير منها، وتفنيد شبههم ومزاعمهم والرد عليها بما يوضح الحقيقة لطالبها؛ لأن الإسلام وحده هو الذي يخلد العروبة لغة وأدبا وخلقا، وأن التنكر لهذا الدين معناه القضاء الحقيقي على العروبة في لُغتها وأدبها وخُلقها، ولذلك يجب على الدعاة أن يستميتوا في إبراز الدعوة إلى الإسلام بقدر ما يستميت الاستعمار في إخفائه، ومن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات دعوة باطلة وخطأ عظيم ومنكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد للإسلام وأهله، وذلك لوجوه قد أوضحناها في كتاب مستقل سميته: (نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع).

ثالثا: الأحزاب الشيوعية العربية:

لعل أول ما يعيب الأحزاب الشيوعية العربية أنها مرهونة كلية بماركسية الاتحاد السوفيتي وماوية الصين لذا كانت ظروف تأسيسها جعلها مثار تساؤلات وردود فعل وصلت إلى حد التشكيك في مصداقيتها واتهامها بالولاء للقوى الأجنبية.

كما وأن الفكر الشيوعي يتعارض مع الشريعة الإسلامية فكراً

ومنهجاً فقد رد سماحة الشيخ **عبدالعزيز بن باز** رحمه على حكم الذين يطالبون بتحكيم المبادئ الاشتراكية والشيوعية، فقال: «أن الذين يدعون إلى الاشتراكية أو الشيوعية أو غيرهما من المذاهب الهدامة المناقضة لحكم الإسلام، كُفّار ضُلال، أكفر من اليهود والنصارى لأنهم ملاحدة لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر،.. وكل من ساعدهم على ضلالهم، وحسن ما يدعون إليه، وذم دعاة الإسلام ولمزهم، فهو كافر ضال، حكمه حكم الطائفة الملحدة، التي سار في ركابها وأيدها في طلبها، وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم عليهم بأي نوع من المساعدة، فهو كافر مثلهم».

كما منيت الدول التي سيطر عليها الشيوعيون بالضعف والتّفكك والحروب والنزاعات كما حصل في **اليمن الجنوبي والصومال** فقد حكم نظام سياد بري ١٩٨٦-١٩٩٢ عن طريق انقلاب عسكري في ٢١ أكتوبر عام ١٩٦٩ وتبنى سياسة شيوعية ماركسية وحكم البلاد بالعنف والحديد والنار ومنع الإشارة للعشائرية مما زاد من الحنق الشعبي عليه بالذات مع المشاكل الاقتصادية وخوضه للحرب مع أثيوبيا.

المبحث الرابع: أسباب فشل الأحزاب العربية

أسباب فشل الأحزاب السياسية العربية

لقد فشلت الأحـزاب السياسية العربية في تقديم نموذج ناجح للأحزاب فضلاً عن تقديم شيء للامة من خلال الهزائم والإخفاقات المتكررة الواحدة تلو الاخرى في تبني قضايا شعوبها أو حتى المُنضوين تحت لوائها وعزز عوضا عن ذلك الدكتاتورية والفردية البغيضة. (**الحزب هو أنا وأنا هو الحزب**).

لا تحظى الأحزاب السياسية خاصة الحاكمة منها بتقدير عالي أو بسمعة جيدة لدى الشعوب العربية وتعد تجربتها تجربة فاشلة بكل المقاييس وهي سبب رئيس في تراجع وتخلف الأمة، وهي تقدم دائماً صورة هزيلة من الممارسة السلبية في نظام الحكم أو حتى في المعارضة بخلاف ما عليه الأحزاب في الانظمة المتقدمة التي قدمت نموذجاً حياً لتقدم ورفاه وقوة بلدانها وشعوبها. ومن أسباب فشل الأحزاب العربية التالي:

أولا: أسباب تتعلق بالفشل السياسي:

١. عدم تقديم مشروع نهضوي كامل:

فقد فشل المشروع النهضوي العربي كما تخيله مركز دراسات الوحدة العربية عندما وضع معايير لإرساء أسس تقوم عليه الوحدة

العربية في ظل الفشل المطبق للمشاريع القطرية العربية. «وولِد المشروع النهضوي العربي من رحم التغيرات النوعية التي طالت بنيان المجتمع العربي بعد هزيمة ١٩٦٧م، وما تلتها من كبوات، ثم إنها عناصر مشروع يشكل منظومةً مترابطةً من الأهداف يصعب فصلُ الواحد عن الآخر. إنها حلقات متلازمة ومتراصة لا تقبل التجزئة ولا التقسيم».

بدأت فكرة المشروع النهضوي العربي في التَّبلور منذ عام ١٩٨٨ في أعقاب انتهاء مركز دراسات الوحدة العربية من إنجاز مشروعه العلمي الكبير الذي حمل اسم: مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي (الذي أصدر المركز دراساته الجزئية والتركيبية) وطرحت توصياتُهُ – في جملةِ ما طرحت – الحاجة إلى مشروع نهضوي. وقد أدرج المركز ضمن مخططه العلمي الموضوعات والقضايا التي تمثل مادةَ المشروع النهضوي كمسائلَ فكرية ذاتِ أولوية في برامج النشر والندوات من أجل توفير مادة علمية يُبْنَى عليها لبلورة رؤيةٍ نهضوية.

وقد نشرت (**مجلة المستقبل العربي**) تفاصيل هذا المشروع ضمن ملف خاص بعنوان «**المشروع الحضاري النهضوي العربي**» شمل احدى عشرة دراسة هي في الأصل أوراق عمل قدمت إلى ندوة «نحو مشروع حضاري نهضوي عربي» نظمها المركز في فاس في المغرب عام ٢٠٠١. وتلقي هذه الدراسات الضوء على جوانب مهمة من عناصر المشروع النهضوي الستة، وعلى التحديات الداخلية والخارجية التي تعترضه، وكذلك تركز على

الترابط الوثيق بين العروبة والإسـلام، وعلى قضايا أساسية لإنجاح المشروع كالاجتهاد والتجديد والمشاركة الشعبية، حيث يقوم المشروع على ستة عناصر:

- الوحدة العربية في مواجهة التجزئة.
- الديمقراطية في مواجهة الاستبداد.
- التنمية المستقلة في مواجهة النمو المشوه والتبعية.
- العدالة الاجتماعية في مواجهة الاستغلال.
- الاستقلال الوطني والقومي في مواجهة الهيمنة الأجنبية والمشروع الصهيوني.
- الأصالة والتجدد الحضاري في مواجهة التغريب.

٢. عدم تقديم برنامج سياسي

ثانيا: أسباب تتعلق بالفشل المالي:

العبث بالمال العام

ثالثا: أسباب تتعلق بالفشل الاداري

١. تقديم المصالح الشخصية على المصالح العامة.
٢. الاستئثار بالسلطة وتغليب حكم الفرد والدكتاتورية.
٣. ابتعادها عن اهدافها وسلوكياتها
٤. ضعف القيادة الحزبية وتهميش الآخرين

٥. تحكم القيادة يشل قدرة التفكير والإرادة ا والبصيرة لدى منتسبي الحزب وجماهيره.

٦. تراجع الأخلاقيات والتقاليد الحزبية إلى الخوف والنفاق والمجاملة لأجل القيادة الباطشة.

٧. فقدان التجربة والممارسة السياسية والحزبية،

رابعا: أسباب تتعلق بالفشل الاعلامي:

١. ابتعادها عن اهداف الجماهير

٢. فقدان شعبيتها بسبب الفشل المتكرر ولان مصلحة الشعب تأتي بعد مصلحة الحزب

٣. فقدان القبول الاجتماعي والشعبية والجاذبية السياسية

٤. عزوف المتميزين عن العمل السياسي او الانخراط في الأحزاب وما شابه، بسبب عدم قدرة الأحزاب او الحكومة على تجسيد تطلعات الناس وطموحاتهم في العيش الكريم.

وفي ورقة عمل قدمت لمؤتمر «الأحزاب السياسية في العالم العربي... الواقع الراهن وآفاق المستقبل» الذي نظمه مركز القدس للدراسات السياسية بتاريخ ١٢-١٣/يونيو ٢٠٠٤، الأردن/عمان في نقد أهلية (الحزب السياسي) لماذا فشلت الأحزاب كشكل للتنظيم السياسي في المجتمعات العربية المعاصرة؟ ٢٠٠٤/٦/١٢ قسم: سامر خير احمد وهو باحث وكاتب أنواع الفشل الذي منيت به الأحزاب العربية إلى التالي:

١. انحراف الأحزاب عن أهدافها الطبيعية.
٢. انحراف الأحزاب عن وظيفتها حين وصولها السلطة وتصبح احزابا عشائرية وعائلية.
٣. عزوف الناس عنها.
٤. عدم اعتمادها وسيلة للتعبير السياسي..
٥. لم تنجح في الوصول إلى ثقافة مدنية كاملة وظلت تتأرجح بين الاصالة والحداثة
٦. الحزب يتصرف كعشيرة أو طائفة او جماعة دينية.

وفي دراسة حول (أثر التشريعات في تطوير الأحزاب السياسية مراجعة تحليلية لقانون الأحزاب السياسية) التاريخ ٢٠٠٤/٦/١٢ - للدكتور. كمال ناصر نقيب المحامين سابقا في الأردن ذكر أن أسباب فشل الأحزاب العربية هي:

ا – تفرد تيار بعينه

«ولعل ما ورد في الورقة المقدمة من لجنة الأحزاب السياسية لدولة رئيس الوزراء في ٢٠٠٣/٤/٢٣ ليس بعيدا عن الواقع واقتطف منه ما يلي: «إن المشكلة الأبرز للعمل الحزبي اليوم، لا تكمن في الشّرذمة فحسب، بل في غياب كتل وتيارات رئيسة يمكنها ان تنهي ظاهرة تفرد تيار بعينه لمؤسسات المجتمع المدني ويمكنها ان تؤسس لحياة نيابية نشطة ومؤثرة تنتهي إلى تداول السلطة بين احزاب كبرى في البلاد».

٢- غياب البرامج السياسية الوطنية:

١. ان الحياة الحزبية الأردنية التي تعاني بحق من مظاهر الشرذمة وعزوف المواطنين عن العمل الحزبي وغياب البرامج السياسية الوطنية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية للأحزاب.

٢. تمسكها في المقابل بأيديولوجيات وشعارات ثبت عقمها.

٣. ضعف شفافية عملها الحزبي، وتراجع في منسوب الحياة الديمقراطية الداخلة فيها.

٤. ارتباط بعضها الاخر بالخارج ماليا وتنظيميا.

٣- التشريعات المتكاملة:

ويتعين وضع تشريع مناسب لعمل الأحزاب و عدم عزله عن تلك التشريعات المتصلة بهذا الخصوص مثل قانون الانتخاب وقانون الاجتماعات العامة وغير ذلك، إذ أن جميعها تشريعات تتعلق بالحرية والديمقراطية وبحقوق دستورية لا يجوز المساس بها.

التكامل في العمل السياسي والنقابي والطلابي

من غير المقبول ايضا تشجيع الأحزاب في وقت تمنع فيه الجامعات والنقابات والاتحادات.

الخاتمة

هذه الدراسة بدأت **بالمبحث الأول** في التعريفات والمصطلحات: بالتعريف بكلمة الحزب لغة واصطلاحا، وبينت معنى الحزب في القرآن الكريم والسنة النبوية. كذلك سعت إلى تعريف الحزب السياسي وفيه عدة تعريفات. ثم بين المقومات الأساسية للحزب والقواسم المشتركة بين التعريفات والمفاهيم. وتطرقت الدراسة إلى أسباب نشأة الأحزاب السياسية وأنواع الأحزاب من ناحية الحجم.

وفي **المبحث الثاني** تكلمت الدراسة عن تاريخ الأحزاب العربية تكلمت عن التنظيمات والأحزاب الإسلامية، ثم التنظيمات والأحزاب القومية وأخيرا عن الأحزاب الشيوعية العربية.

وفي **المبحث الثالث** تطرقت الدراسة إلى نقد الأحزاب العربية ؛ أولا: نقد التنظيمات والأحزاب الإسلامية، وثانيا: نقد التنظيمات والأحزاب القومية: ثالثا: الأحزاب الشيوعية العربية.

وفي **المبحث الرابع** استنتجت الدراسة أسباب فشل الأحزاب العربية أسباب فشل الأحزاب السياسية العربية فهناك أسباب تتعلق بالفشل السياسي، وأسباب تتعلق بالفشل المالي، وأسباب تتعلق بالفشل الاداري، وأسباب تتعلق بالفشل الاعلامي.

المراجع

١. موقع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز

٢. الأحزاب والحركات السياسية في الوطن العربي، (كتاب) - مهدي جرادات - دار اسامة - عمان - الأردن - ٢٠١٠.

٣. تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات وليد بن عبدالله الهويريني مجلة البيان ١٤٣٣ هـ/٢٠١١ م

٤. الأحزاب والحركات والتنظيمات القومية في الوطن العربي) (كتاب) - اعداد مركز دراسات الوحدة العربية بعنوان.

٥. (الأحزاب السياسية في العالم العربي...الواقع الراهن وآفاق المستقبل)(ورقة عمل) قدمت للمؤتمر الذي نظمه مركز القدس للدراسات السياسية بتاريخ ١٢-١٣/حزيران ٢٠٠٤،الأردن/عمان في نقد أهلية)الحزب السياسي((لماذا فشلت الأحزاب كشكل للتنظيم السياسي في المجتمعات العربية المعاصرة)؟ ٢٠٠٤/٦/١٢ - سامر خير احمد

٦. أثر التشريعات في تطوير الأحزاب السياسية مراجعة تحليلية لقانون الأحزاب السياسية) (ورقة عمل)- التاريخ ٢٠٠٤/٦/١٢ - د. كمال ناصر

الفهرس

العنوان	الكاتب	رقم الصفحة
مقدمة	د. وائل الحساوي	٣
المحور الأول: نشأة فكر التكفير وتطوره التاريخي وأهم الأفكار المرتبطه به	الشيخ محمد حمود النجدي	٧
ملخص منهج الخوارج أو عقائد الخوارج وغلوهم في التكفير	..	١٢
أسباب الغلو الذي وقع فيه الخوارج	..	١٣
نماذج معاصرة من التكفير وكيفية مواجهة هذا الفكر	د. فرحان عبيد الشمري	١٧
كيفية مواجهة فكر الخوارج	..	١٩
المحور الثاني: التمدد الصفوي في العصر الحديث وظهور النزعة الإستعمارية في كل من العراق ولبنان واليمن وتداعيات فكر تصدير الثورة	الاستاذ صباح الموسوي	٢٣
المحور الثالث: أساليب نشر العلمانية	الشيخ عبدالمنعم الشحات	٣٣
الظروف المولدة للعلمانية	..	٣٥
تكريس مظاهر العلمانية	..	٤٤

مجالات الانحراف العلماني	..	٥٠
محاور معركة العلمانيين	..	٥٤
المحور الرابع: التطور التاريخي للإخوان المسلمين وتجاربهم السياسية وأثرها	الدكتور عبدالرحمن الجيران	٦٧
جوانب الفشل في فكر الإخوان وما هو الفكر السروري	الدكتور خالد سلطان السلطان	٧٩
الجوانب الفكرية للحركة القطبية والسرورية	..	٨٥
أهم ما يحمله القطبيون والسروريون من أفكار	..	٨٧
خلاصة القول في فكر القطبية والسرورية	..	٩٠
نقاش وتعقيب	..	٩٢
المحور الخامس: فشل الأحزاب والحركات والتنظيمات السياسية العربية في النهوض بالأمة	المهندس سالم الناشي	٩٩
إهداء	..	١٠١
المقدمة	..	١٠٢
المبحث الأول: التعريفات والمصطلحات	..	١٠٤
القواسم المشتركة بين التعريفات والمفاهيم	..	١١٢

أسباب نشأة الأحزاب السياسية	..	١١٣
المبحث الثاني: تاريخ الأحزاب العربية	..	١١٥
أولا التنظيمات والأحزاب الإسلامية	..	١١٥
ثانيا التنظيمات والأحزاب القومية	..	١٢٢
ثالثا الأحزاب الشيوعية العربية	..	١٢٥
المبحث الثالث: نقد الأحزاب العربية	..	١٢٦
المبحث الرابع: أسباب فشل الأحزاب العربية		١٣٧
أولا اسباب تتعلق بالفشل السياسي	..	١٣٧
ثانيا أسباب تتعلق بالفشل المالي	..	١٣٩
ثالثا أسباب تتعلق بالفشل الإداري	..	١٣٩
رابعا أسباب تتعلق بالفشل الإعلامي	..	١٤٠
الخاتمة	..	١٤٣
المراجع	..	١٤٤